

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة مسيلة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

المدينة في المغرب الأوسط

دراسة في محوّل النهضة

مذكرة مكّلة لمتطلبات نيل شهادة الماسّتر

تخصّص: التاريخ الوسيط

إشراف الأستاذ:

د. عبد السلام همال

إعداد الطالبة:

فاطمة الزهراء مهدي

السنة الجامعية

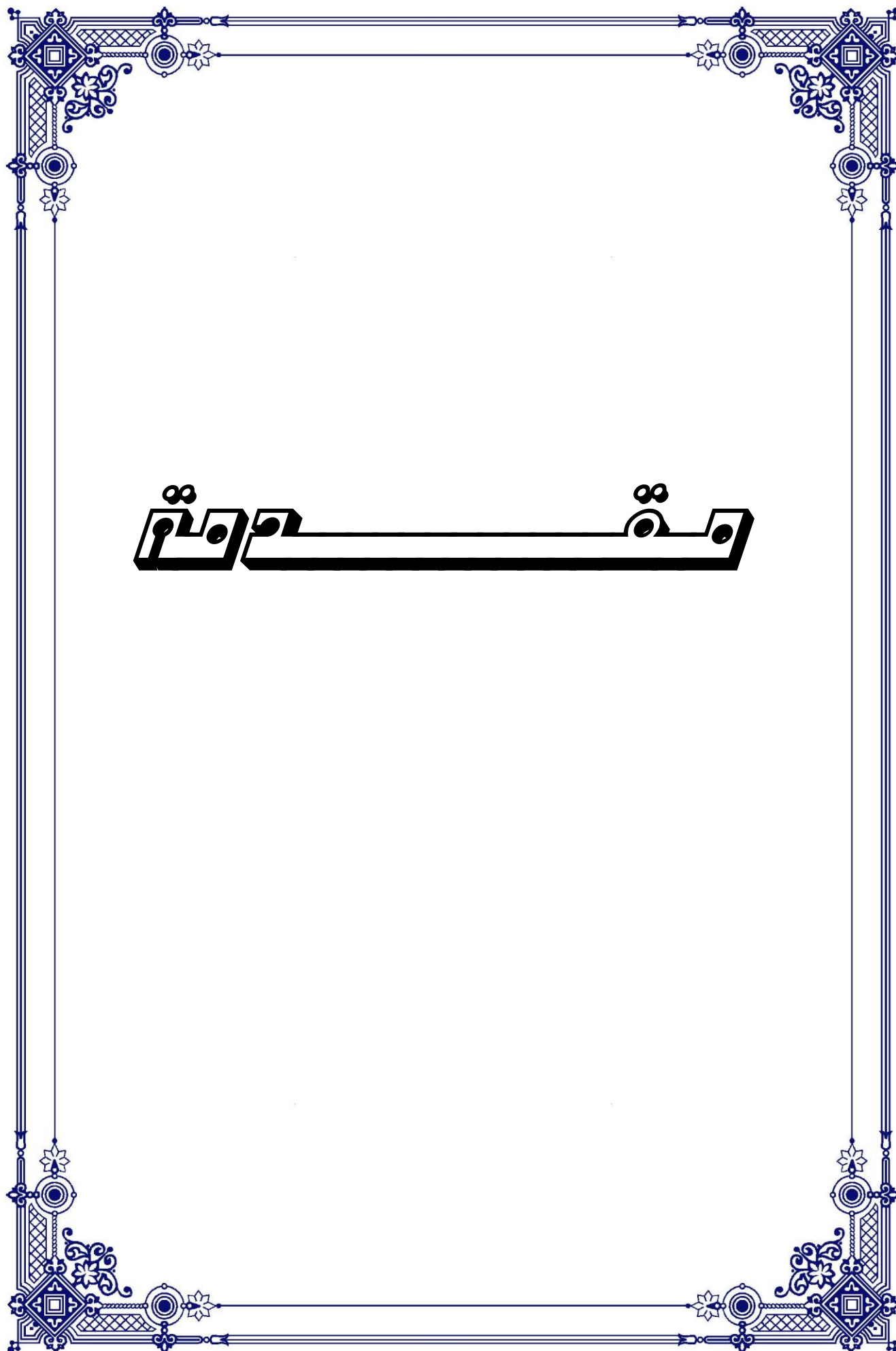
١٤٣٤-١٤٣٥ هـ / ٢٠١٣-٢٠١٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس الموضوعات

الصفحة	فهرس الموضوعات
	البسمة
	الإستهلال
	التشكرات
أ - د	المقدمة
١٣ - ٤	الفصل الأول: المدينة في المغرب الأوسط مصطلحات لها دلالات وإشكالات
٥	أولاً: المغرب الأوسط مجاله وجغرافيته
٥	المجال الجغرافي لبلاد المغرب المغرب الأوسط
٦	تحديد الجغرافيين للمغرب الأوسط
٧	تحديد المؤرخين للمغرب الأوسط
٩	ثانياً: المدينة الإسلامية مفاهيم وإشكالات
٩	التعريف اللغوي للمدينة
١٠	مفهوم ابن خلدون للمدينة
١١	شروط اختطاط المدن عند ابن خلدون
١٢	المدينة والكتابات الإستشرافية
٣٢ - ١٤	الفصل الثاني: الدوافع العسكرية والتجارية لنشأة المدينة في المغرب الأوسط
١٥	أولاً: التحول من الوظيفة العسكرية إلى الوظيفة المدنية
١٥	١- المسيلة من حصن عسكري إلى مدينة تستهوي الأندلسيين
٢٠	٢- تيهرت من البداوة الى عراق المغرب
٢٣	٣- النصورة من رباط عسكري إلى مدينة حضارية
٢٥	ثانياً: التحول من الوظيفة التجارية إلى الوظيفة المدنية
٢٥	١- تنس من قلعة للأندلسيين إلى حاضرة ساحلية بالمغرب الأوسط
٢٧	٢- مدينة وهران من مرفأ تجاري إلى حاضرة ساحلية بالمغرب الأوسط
٥٠ - ٢٢	الفصل الثالث: دور القبيلة والمذهب في نشأة المدينة بالمغرب الأوسط
٣٣	أولاً: دور القبيلة في نشأة المدينة في المغرب الأوسط - صنهاجة أنموذجاً -
٣٣	التعريف بمصطلح القبيلة
٣٤	التعريف بقبيلة صنهاجة
٣٧	المدن التي أسسها وعمرها الصنهاجيون

٣٧	١-قلعة بني حماد حاضرة الحماديين
٤٠	٢-بجاية المرسى الذي أضحى مركز الحضارات والعلوم بالمغرب الإسلامي
٤٤	٣-جزائر بني مزغن المدينة التي أعاد مجدها الصنهاجيين
٤٧	ثانيا: دور المذهب في نشأة المدينة بالمغرب الأوسط
٤٧	١-ايكجان منطلق المذهب الشيعي بالمغرب الأوسط
٥٠	٢-سدراته معقل حضارة الإباضيين
٥٣-٥١	الخاتمة
٦٢-٥٥	الوراقية
٦٥ -٦٣	الكشافات
٦٤	كشاف الأعلام البشرية
٦٥	كشاف الأماكن والمدن
٦٨ - ٦٦	فهرس الموضوعات



٢٤

أ- أهمية الموضوع وإشكاليته:

كثيرا ما شكلت المدينة اهتمام العديد من الباحثين، وقد اهتم كل من المؤرخين والمستشرقين وعلماء الاجتماع بمعرفة الظروف السياسية والجغرافية والتاريخية التي كانت وراء نشأة هذا الكيان الحيوي الذي تجاوز حيز كونه مجرد مكان أو أمكنة متعددة لمجتمع ما، ونجد أن المدينة في مختلف بقاع العالم حظيت بالعديد من الدراسات و التنظيرات عكس المدينة الإسلامية التي ظلت إلى وقت متقدم مهمشة من طرف باحثينا وعلمائنا فاسحين المجال للدراسات الإستشراقية التي لطالما أعطت صورة يكتنفها الضباب حول المدينة الإسلامية، حيث كان هؤلاء ينظرون للمدينة الإسلامية على ضوء ما وصلوا إليه حول المدينة الغربية في الفترة الوسيطة التي كانت - نوعا ما- تعرف ركودا على مستوى العديد من الأصعدة، وكان ذلك يستلزم الوصول إلى نتائج مغلوطة، الشيء الذي دفع مؤرخي وعلماء الحضارة الإسلامية إلى دراسة المدينة الإسلامية وإعطائنا الصورة الحقيقية لها وفق المعايير الحقيقية لها، والتي تراعي خصوصيتها ومميزاتها في ضوء الحضارة الإسلامية، ونجد من جملة هؤلاء المؤرخين حليلة فرحات^١ ومصطفى عباس الموسوي^٢، لكن نصيب المغرب الأوسط كان شحيحا ومازال الى الآن خاصة ما تعلق بعوامل قيامها والأسباب الداعية لذلك

ولعل من أهم الاعتبارات التي جعلتني أخوض غمار هذه الدراسة هو:

إيماني العميق بخصوصية المغرب الأوسط عن سائر بلاد المسلمين فكثيرا ما كانت نتائج الدراسات المتعلقة بنشأة المدن وتطورها تعمم على سائر مدن العالم الإسلامي بشقيه المغرب والمشرق، ففي اعتقادي أن ما وصل إليه المؤرخون حول مدن المغرب الأقصى و الأدنى أو المشرق والأندلس لا يمكن إسقاطه على المغرب الأوسط هذا من جهة.

^١ من النماذج التي تناولت المدينة في المغرب الإسلامي دراسة المؤرخين المغربيين عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات اللذين حملت دراستهما عنوان "المدينة في العصر الوسيط" وقد كانت من بين الدراسات التي حلت العديد من العقد التي اكتست المدينة في الغرب الإسلامي. أنظر: حليلة فرحات وعبد الأحد السبتي: **المدينة في الغرب الإسلامي - قضايا ووثائق من الغرب الإسلامي**، -١، بيروت - الرباط: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤

^٢ من بين الدراسات التي عالجت عوامل نشأة المدن بشكل مباشر وتعتبر دراسة مرجعية لأي باحث هي دراسة مصطفى عباس الموسوي التي حملت عنوان "**العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية**" وتسمح مثل هذه الدراسات بالمقارنة بين مدن المشرق والمغرب الإسلاميين من حيث النشأة وهل يمكن في الأخير أن نسقط تلك النتائج على كل مدن العالم الإسلامي

ومن جهة أخرى افتقارنا إلى دراسات واضحة المعالم حول دوافع وأسباب إحياء المدن بالمغرب الأوسط، ضف إلى ذلك رغبتني في رسم صورة واضحة عن أبرز الأسباب والدوافع التي كانت وراء قيام المدن والأطراف الفاعلة في ذلك في ظل تلك الفسيفساء التي كانت تشهدها بلاد المغرب الإسلامي من مذاهب وكيانات سياسية وعصبية. وهناك العديد من الإشكالات التي يجب طرحها للوصول إلى ما نصبوا إليه من فض اللبس عن المدينة بالمغرب الأوسط، فكان الإشكال المحوري أو الرئيسي هو:

ماهية الدوافع والأسباب الحقيقية الكامنة وراء قيام ونشأة المدينة في المغرب الأوسط؟

وتحت هذا الإشكال المحوري إندرجت مجموعة من التساؤلات الجزئية التي كانت كالتالي:

كيف ألفت خصوصية المغرب الأوسط إقتصاديا وسياسيا بضلالها على نشأة المدن به في الفترة الوسيطية؟

كيف ساهمت القبيلة ككيان متحكم في بلاد المغرب الأوسط في نشأة المدن ؟

ما الدور الذي لعبته المذاهب التي كانت تصبوا الى صنع مجد لها ببلاد المغرب الأوسط في قيام المدن؟

هل حافظت هذه الكيانات على ما شيدت من عمران ببلاد المغرب الأوسط؟

إن ما نصل إليه من إجابات عن هذه التساؤلات ستكون بمثابة أقلام ترسم لنا صورة المدينة في المغرب الأوسط

ب- المنهج:

وفي أثناء معالجتني لهذا الموضوع لم أستخدم منهج معين بحد ذاته لخصوصية الموضوع أولا ولعدم

اكتمال الرؤية لدي، لذلك عمدت الى استخدام مجموعة من الآليات كالوصف أثناء التعامل مع ما تقدم من

النصوص خاصة الجغرافية ، ثم استخدام الإستنباط والتحليل عند استقراء تلك النصوص واستنتاجها للحصول

على ما هو ليس بظاهر فيها خاصة التاريخية التي تشيرنا عرضا لمدينة ما، ثم استخدمت المقارنة في معالجة الفروقات

الموجودة بين النصوص التاريخية أو الجغرافية.

ج- الصعوبات:

لا أريد في هذا المقام الخوض في الصعوبات والمشاق التي واجهتني طيلة فترة جمع المادة العلمية من المكتبات سواء

الخاصة أو العامة وحتى الجامعية لأن ذلك من عزم الأمور، ولكن الصعوبة الكبرى واجهتني أثناء دراستي للموضوع

وتحريره وذلك راجع الى أن النصوص التاريخية التي تحدثنا عن مدن المغرب الأوسط كانت ضمن ذلك الحراك

السياسي الذي كان فيه طموح كل جبهة للسيطرة والنفوذ والسيادة، في نجد النصوص الجغرافية تحدثنا عن تلك الخصوصية والأهمية التجارية للمدينة مما يدفعك للوهلة الأولى الى تصنيفها في بوتقة واحدة تترجمها التجارة

د- عرض الموضوع:

إن ما حصلت عليه من مادة علمية دفعتني الى معالجة الموضوع ضمن ثلاث محاور أساسية، كل محور تندرج تحته جزئيتين أساسيتين له وقد أقبلت على الموضوع بمقدمة، حملت في طياتها أهمية الموضوع واشكاليته والمنهج الذي اتبعته ودراسة نقدية لأهم المصنفات الجغرافية والتاريخية الخاصة بالموضوع.

الفصل الأول جعلته تمهيدي للموضوع عاجلت فيه إشكالية كل من مصطلح المغرب الأوسط والمدينة على اعتبار أن الأول غير ثابت ومتذبذب يخضع للضروف السياسية والقبلية أما الثاني فتعددت المشارب التي عاجلته ووضحت ذلك عند كل من المؤرخين والجغرافيين أو المستشرقين.

أما الفصل الثاني فعاجلت فيه الدوافع التجارية والعسكرية والتي رأيتها هي المتحكمة في نشأة المدينة، العسكرية أعطيت عنها نماذج محددة تمثلت في المسيلة وتيهرت والمنصورة، في حين أخذت عن التجارية نموذجين هما تنس ووهران

أما الفصل الثالث فخصصته لدور كل من العصبية القبلية والمذهب الديني في نشأة المدينة بالمغرب الأوسط وأخذت في الأول صنهاجة كنموذج أستت مجموعة من المدن للتمكين لعصبيتها ببلاد المغرب وتمثلت أهم مدنها في قلعة بني حماد وبجاية ، جزائر بني مزغن، أما عن المذهب أخذت الشيعة والإباضيين كنموذجين، فالشيعة أسسوا مدينة إيكجان وجعلوا منها معقل ومنطلق للمذهب الشيعي في المغرب الأوسط ثم المغرب الإسلامي ككل، أما الإباضيين فأخذت مدينة سدراته كنموذج عبر عن الرغبة في الحفاظ على المذهب ومعتقداته من الضياع و الاندثار بعد سقوط تلك السلطة السياسية المتمثلة في الرستميين

عرض وتحليل المصادر:

إن المتتبع للبحث يجد تنوع في المصادر المعتمدة، فقد طغت كتب التاريخ والجغرافيا والرحلة على تلك المصادر المعتمدة

كتب الجغرافيا:

كان أبرزها مصنف ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) المعنون بـ **صورة الأرض** هذا الجغرافي الشيعي كانت له معرفة جيدة بدخاريز بلاد المغرب وقدم العديد من الأوصاف الدقيقة عن المدن خاصة أنه عايش تلك الصراعات

التي أنمت عن قيام العديد من المدن والملاحظ أن الجانب السياسي والسلطوي يطغى على تحليلاته، إضافة إلى مصنفه هناك مصنف لا يقل أهمية عنه هو مصنف

ابو عبيد البكري: (١٠٩٤هـ/١٠٩٤م) صاحب **كتاب المسالك والممالك** وهو من المصادر المهمة التي أعطت صورة شاملة عن المدينة في بلاد المغرب الأوسط بحمولتها السياسية والجغرافية والتجارية والإستراتيجية مما صعب عليه تصنيف المدن من حيث دوافع نشأتها

المصنفات التاريخية:

ابن خلدون (٨٠٨هـ/١٤٠٥م) : **ديوان المبتدأ والخبر** يعتبر من المصنفات المهدد لدراسة المدن في بلاد المغرب الأوسط من حيث معرفة الظروف المحيطة بتأسيس المدن وتطورها خاصة من المنظور السياسي سواء المذهبي والقبلي

أما المصنفات الأخرى فأغلبها كانت متخصصة ك:

ابن الصغير: (كان حي في ٣هـ) **أخبار الأئمة الرستميين** الذي تحدث عن الرستميين وقد استفدت منه كثيرا في تعلق بأسباب نشأة مدينة تيهرت.

وقد اعتمدت كذلك على مجموعة من المصنفات الشيعية على اعتبار أن الحراك الذي أحدثته في بلاد الغرب الأوسط أقل بضالها على المدينة سواء ظهورا أو اندثارا وكان من أبرز مصنفاتهم

الداعي إدريس عماد الدين (٨٧٢هـ/١٤٨٨م) : **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** وميزة الكتاب انه كان دقيقا في اخباره عن المغرب وقد اعتمد على مصنفات قديمة مهمة ومعتدلة وكانت له العديد من الروايات والاخبار عن المدن التي كان الفاطميون يد في تشييدها كالمسيلة .

القاضي النعمان (٣٦٣هـ/٩٧٣م): **افتتاح الدعوة** نجد أوصاف متعددة وشاملة عند تعريجه على أي مدينة وبالتالي يمكن تصور تلك المدينة كيف بدأت وكيف تطورت خاصة المدن التي كانت في طريق المد الشيعي

الفصل الأول:

المدينة في المغرب الأوسط مصطلحات لها

دلالات وإشكالات

أولاً: المغرب الأوسط مجاله وجغرافيته

١ عند الجغرافيين

٢ عند المؤرخين

ثانياً: المدينة مفاهيم وإشكالات

١ التعريف اللغوي

٢ تعريف ابن خلدون

٣ شروط اختطاط المدن

٤ المدينة والكتابات الإستشراقية

أولا : المغرب الاوسط مجاله وجغرافيته

المجال الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط

لقد كان إقليم المغرب الأوسط يمثل عند الجغرافيين حلقة وسط بين أجزاء المغرب الإسلامي وبما ورائها من البلاد فهو يربط ولاية إفريقية (تونس) وما ورائها بالمغرب الأقصى وماوراءه.

وقد سمح لها هذا الموقع أن تدخل ضمن دائرة التجارة العالمية ، حيث كان التجار يتجهون من عاصمة الخلافة إلى أوروبا شرقا وإلى شمال إفريقيا فالأندلس فأوروبا في دائرة مغلقة^١.

لكن المشكلة التي تعترض دراسة التاريخ المتعلقة خاصة بالمغرب الاوسط يجد صعوبة في ضبط حدوده وذلك راجع إلى أمرين محوريين ومهمين لتحديد الأول مرتبط بالمجال الذي تسيطر عليه الدولة ، والثاني أنّ حدود خاضعة لطبيعة المجتمع القبلي كثير الحركة^٢ ، وهذين العاملين أثرا بشكل كبير في تحديد المجال وحدود المغرب الاوسط ضمن مجال المغرب الإسلامي الذي كان وحدة واحدة لكن مع ظهور الحروب والنزاعات ورغبة بعض العصبية سواء الدينية أو القبلية في الانفصال والاستقلال عن المركز^٣.

هنا يبرز دور المدن المنشأة على هذا إثر هذه التحولات والتي لعبت دورا في رسم وتحديد معالم الإمارات والدول والتي إعتدوها جغرافيون في تحديد البلاد^٤.

^١ لومبارد مورييس: الإسلام في مجده الأول ، ترجمة العربي اسماعيل ، المغرب: منشورات دار الآفاق الجديدة ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٢٥.

^٢ الطاهر الطويل: المدينة الإسلامية و تطورها في المغرب الأوسط ق ١٥هـ / ق ٥هـ ، ط ١ ، المتصدر للتربية الثقافية ، ٢٠١١ ، ص ٢٦.

^٣ للمزيد حول العصبية القبلية و الدينية أنظر ابن خلدون: كتاب العبر ، ج ٤ ، ج ٧.

^٤ الطاهر طويل: المرجع السابق ، ص ٢٧.

تحديد بعض الجغرافيين للمغرب الأوسط :

إنّ تحديد مجال المغرب الأوسط بمعزل عن المغرب الإسلامي كان من الصعب جداً ، لما كان للمغرب الإسلامي من تلاحم وعوامل مشتركة وتأثيرات متبادلة ، صعب الفصل بينها بحدود جغرافية لذلك نجد جل التقسيمات أو الحدود التي وضعها الجغرافيين كانت تخضع في الغالب للسلطة السياسية المسيطرة والمتمركزة بالإقليم أو طبقا للعصبيات القبلية وولاءها للعصبية الدينية^١ .

ابن حوقل

يعتبر من المصادر المهمة لما عاشه بعينه في تلك المنطقة فقد قسّم المغرب إلى قسمين شرقي وغربي ، الأول يمتد من برقة إلى نواحي إفريقية ، والثاني يمتد من إفريقية إلى البحر المحيط^٢ . وهذا القسم أي الغربي قال عنه " بلاد مسكونة ومدن متصلة الرساتيق والمزارع والضياع والمياه والولاية و السلاطين والملوك والحكام والفقهاء وكل ذلك في جملة صاحب المغرب وحوزته وقبضته أو في يد خليفته... " ^٣

أبو عبيد البكري

يقسم المغرب إلى قسمين : إفريقية وبلاد المغرب ، أمّا حديثه عن المغرب الأوسط فذكر تلمسان هي قاعدته ومركزه إذ يقول " ... وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد وجامع وأشجار و أنهار عليها الطواحين وهو نهر ... وهي دارة مملكة زناتة.... " ^٤

الشريف الإدريسي

نلاحظ أنّ الشريف الإدريسي كان دقيقا في تحديده للمغرب الثلاثة وذلك بالاعتماد على مركزية المدن التي كانت مركز السلطة وعاصمتها حيث يقول عن المغرب الأوسط "ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حمّاد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة " ^٥.

^١ الطاهر طویل: : المدينة الإسلامية و تطورها في المغرب الأوسط ق ١٨٥٠/ق ١٨٥٠، ص ٢٨، ٢٩.

^٢ ابن حوقل (ت ٣٤٣هـ): أبي القاسم النصيبي ، صورة الأرض ، بيروت ، لبنان : منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٩٢ م ، ص ٦٤.

^٣ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٦٥.

^٤ أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ): المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب - جزء من كتاب المسالك و الممالك ، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ص ٧٧.

^٥ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، لندن: مطابع بديل، ١٨٦٣ م ، ص ٩٠.

كما حدد مجال المغرب الأوسط من الغرب بمدينة تلمسان " ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب وهي على رصيف للداخل والخارج منه.. " ^١

ونلاحظ أنه اعتمد في التقسيم والتّمييز بين المغاربة الثلاث بمركزية المدن الكبرى في ذلك الوقت وهي المهدية ، فاس ، بجاية ^٢ .

ياقوت الحموي

يُذكر أنّ بجاية هي الحد الفاصل بين إفريقية والمغرب " سميت إفريقية لأنّها فرقت بين مصر والمغرب ، وحدث إفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والاسكندرية إلى بجاية ، وقيل مليانة... " ^٣.

ويظهر خلال تعريفات الجغرافيين أنّه لا توجد صورة واضحة المعالم عن المغرب الأوسط وذلك راجع إلى التغيرات السياسية واختيار دويلات وقيام أخرى إضافة إلى بنية المجتمع وتوزع قبائله وعصبياتهم ^٤ داخل ذلك المجال لذلك نرى أنّ تحديدات الجغرافيين كانت غير دقيقة متجاوزة العامل الثاني وبتت جل تحديداتها على العامل السياسي فقط.

من خلال بنية المجتمع وقبائله تبرز دور السلطة أو الدولة على كسب ولاء جميع تلك العصبية ودمجها مع بعض متجانسة ومتجاوزة لعصبية الدم والنسب والأصل ^٥

حدود المغرب الأوسط عند المؤرخين

ابن خلدون أنموذجا

لقد اخترت ابن خلدون كنموذج عن المؤرخين ولن نجد أحسن منه فقد تميّزت معطياته بالدقة والوضوح والشمولية والموضوعية حيث يقول عن المغرب الأوسط أنّه " في الأغلب ديار زناتة كان لغراوة وبني يفرن ، وكان معهم مديونة و مغلية وكومية ومظفرة ومطماطة ثم صار من بعدهم لبني وماتوا وبني يلومي ثم صار لبني عبد الواد وتوجين من بني مادين وقاعدته لهذا العهد تلمسان " ^٦

^١ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٨٢.

^٢ الطاهر طویل: : المدينة الإسلامية و تطورها في المغرب الأوسط ق ١٩٥٠ ق ١٩٥٥، ص ٣٢.

^٣ ياقوت الحموي: معجم البلدان ، مج ١ ، بيروت ، لبنان: دار صادر بيروت ، ١٩٧٧ م ، ص ٢٨٨.

^٤ محمد نجيب بوطالب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي ، ط ١ ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ص ٢٠.

^٥ المرجع نفسه.

^٦ ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، نشره:

خليل شحادة، بيروت: دار الفكر، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ج ٦، ص ١٢٨.

هنا نلاحظ أنّ ابن خلدون اعتمد على الأسس القبلية في التقسيم حين قال أنّ المغرب الأوسط ديار زناتة وعدد جل العصبية المتواجدة به حتى السابقة لعصره ، كما لم يغفل الجانب السياسي حين ختم كلامه بأنّ تلمسان قاعدته .

فهو يرى أنّه يمتد من واد ملوية غربا إلى واد الشلف والزاب شرقا ، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تيهرت جنوبا.^١

وتعتبر الأقاليم الممتدة من الجزائر غربا إلى بجاية شرقا بلاد صنهاجة ، أمام إقليما بجاية وقسنطينة فهو مواطن كتامة وعجيسة وهوارة وماوراء قسنطينة حدود إفريقية وطرابلس.^٢

ونلاحظ أنّ هذا التقسيم استند إلى التوزيع القبلي لمرحلة ما قبل ٥٥ هـ / ١١ م حيث سيطرة الدولة الحمادية (٤٠٥ هـ - ٥٤٧ هـ / ١٠١٤ م - ١١٥٢ م) على الأقاليم الثلاثة وزاحمها المرابطون بعد ذلك ثمّ جاء الزحف الهلالي ليغير بنسبة كبيرة التركيبة القبلية للمغرب الإسلامي الأوسط ، حيث نجد أنّ هذه الفسيفساء قد اخضعت فيما بعد لسلطة واحدة مركزية هي الموحدون.^٣

^١ مرزوق بنة: الزخرفة العمائرية في عمارة المغرب الأوسط خلال الفترة (٥٥-٥٨ هـ) ، مذكرة لنبل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ،

الجزائر ٢٠٠٨ م ، ٢٠٠٩ م ، ص ٢٠.

^٢ ابن خلدون: ديوان العبر ، ٦ / ١٢٩.

^٣ مرزوق بنة : المرجع السابق ، ص ٢٠ ، ٢١ .

المدينة الإسلامية : مفاهيم وإشكالات

التعريف اللغوي للمدينة:

من الصعوبة وضع مفهوم محدد للمدينة بشكل عام ، على الرغم من أنّ المدينة تمثل شكلا من أشكال الإستقرار يرجع إلى بدايات الحضارة ، وهي ظاهرة متطورة ومتغيرة ويتوقف شكلها وطبيعتها على الحضارة والمرحلة الحضارية التي تنتمي إليها .

لذلك فقد تباينت تعريفات المدينة عند كل من الجغرافيين واللغويين والمؤرخين وعلماء الاجتماع .

فإبن منظور يقول أن المدينة من مَدَنَ بالمكان : أقام به ، وفلان مدن

المدائن : كما يقال مصدر الأمطار ، والمدينة : الحصن يبنى في أصطمة الأرض ، وكل أرض يبنى بها حصن في أَصْطُمَتِهَا ، فهي مدينة^١.

في حين يرى الفيروز آبادي : مَدَنَ : أقام ، فعل ممت ومنه المدينة ، للحصن يبنى في أصطمة الأرض جمع مدائن ومُدن ومُدن ، و مَدَّنَ المدائن تمدينا ، مصدرها ومدن قرية شعيب عليه السلام ، والنسبة إلى مدينة النبي عليه الصلاة والسلام ، وَمَدَّيْنُ أَي تَنَعَّمَ^٢. فهي في منظوره تعادل الأمم .

في حين نجد لويس ممفورد Lewis Mumford يجعل المدينة يوصفها حقيقة تاريخية في المكان والزمان ومن هذه النقطة فإن تاريخها يمكن استقراره من خلال الرواسب التاريخية التي تكشف أنّ المدينة هي المكان الذي تلتقي فيه عناصر الحياة^٣.

ونجد أنّ القزويني يصبغ نظرتة للمدينة بالصبغة الاجتماعية الضرورية لحاجة الانسان للإجتماع مع غيره فهو يقول " ثمّ عند حصول الهيئة الاجتماعية لو اجتمعوا في الصحراء لتأذوا بالحرّ والبرد والمطر والريح ولو تسوّوا بالخيام والحُرَقَاهَات لم يأمنوا مَكْر اللصوص والعدو: ولو اقتصرُوا على الحيطان والأبواب كما ترى في القرى التي لا سور لها . ام يأمنوا صولة ذي بأس ، فألهمه الله تعالى اتخاذ السور والخندق الفصيل . فحدثت الأمصار والمدن والقرى والديار"^٤.

^١ ابن منظور: لسان العرب ، ج ٢ ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١ ، ص ٤١٦١ .

^٢ الفيروز آبادي: القاموس المحيط ، بيروت ، لبنان: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة اشرف محمد نعيم ، العرقسوسي ، ٢٠٠٥م ، ص ١٢٣٤ .

^٣ الطائي: ايداع عاشر ، تخطيط المدن في المغرب العربي ، ط ١ ، الأردن : دار دجلة ، ٢٠١٠م ، ص ١٨ .

^٤ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت: دار صادر ، ص ٧ ، ٨ .

مفهوم ابن خلدون للمدينة

يقول ابن خلدون " العمران هو التساكن والتنازل في مصر أو حلة بالأنس بالعشرة واقتضاء الحاجات ، لما في طبائعهم من التعاون على المعاش ، ومن هذا العمران ما يكون بدويا ، وهو الذي يكون في الضواحي ، والجبال ، وفي الحلل المنتجة للصغار ، ومنه ما يكون حضريا وهو الذي بالأمصار والقرى ، و المدن ، والمداشير ، للإعتصام به والتحصن بجدرانها"^١ ، ومن خلال هذا القول نجد أنّ ابن خلدون يصنّف المدينة ضمن العمران الحضري وهو يرى أنّها ناتجة عن النمط البدوي فهو السابق ، ومن مظاهره وتطوره بناء البيوت والمدن لحاجتهم للإستقرار " يتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تمجيدها ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوسة أو فراش أو آنية أو ماعون وهؤلاء هم الحضري ، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان "^٢ ، وعن البربر يقول " يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر ، ويظعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعي "^٣.

انطلاقا من هذا التقسيم للعمران و أنماط العيش الذي لا يمكن فصله عنه ، نجد ابن خلدون يجعل من المدينة ظاهرة اجتماعية مرتبطة بنمط العيش للسكان ، كما يعبر عن حالة المجتمع الذي يتطور من الريف إلى المدينة ليستقر فيها ويصبح جزءا منها ، ولعلّ هذا يؤدي إلى تراجع بل انتفاء العصبية القبلية وتراجعها يكون لصالح الشعور بالانتماء إلى المدينة^٤.

أمّا ابن الأزرقي فيرى أنّ المدينة حاجة الدول لانفرادها ببناءها وذلك راجع إلى أمرين :

- ١ - البناء واحتطاط المنازل إنّما هو من منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف والدعة ، وذلك متأخر عن البداوة.
- ٢ - أنّ المدن ذات هياكل كبيرة وأجرام عظام فتحتاج إلى اجتماع الأيدي وكثرة التعاون وليست من الضروريات التي تعم بها البلوى ، حتى يكون النزوع إليها شريطيا أو اضطراريا بل لابد من الإكراه على ذلك ، وسوق الناس إليها مضطرين بعض الملك أو مرغبين في الأجر الذي يفي به لكثرتة إلا الملك ، لذا لابد من تخطيط المدن من الدولة أو الملك^٥.

^١ ابن خلدون: المقدمة ، تح: عبد السلام الشداوي ، ج ١ ، خزائن ابن خلدون ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م ، ص ٦٢.

^٢ ابن خلدون: المقدمة ، المصدر السابق ، ص ٦٣.

^٣ ابن خلدون: ديوان العبر ، ج ٦ ، المصدر السابق ، ص ١١٦.

^٤ الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط ، ص ٤٨.

^٥ ابن الأزرقي: بدائع السلك في طباع الملك ، تح: محمد الكريم ، تونس: الدار العربية للكتاب ، ج ٢ ، ص ٧٦٢.

شروط اختطاط المدن:

امتياز الفكر الإسلامي العمراني بالشمولية في مبادئه العامة والتخصيصية في جزئيات التطبيق ، أي أنه يبدأ بالأعم الأشمل كسياسة عامة وينتهي إلى التخصص الدقيق في كل فرع من الفروع كانعكاس للنظام الإداري للدولة الإسلامية نفسه^١.

حسب ابن خلدون

يقول ابن خلدون " إعلم أنّ المدن قرار تتخذها الأمم عند حصول الترف ، وجبى أنّ يراعى فيه دفع المضّار بالحماية من طوارقها ... فأما الحماية من المضّار فيرعى لها أنّ يدار على منازلها جميعا سياج الأسوار ... ومما يرمى في ذلك للحماية من الأفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض ، فالهواء إذا كان راكدا خبيثا أو مجاورا للمياه الفاسدة أسرع إليها العفن فأسرع المرض للحيوان^٢ "

من خلال هذا النص يتضح أنّه من شروط اختطاط المدن الحماية من المضّار والاختطار سواء كانت أرضية أو سماوية^٣.

كما يقول " و أما جلب المنافع والمرافق للبلاد فيراعى فيه أمور : منها الماء ، بأنّ يكون البلد على نهر ، أو بإيزاءها عيون عذبة ثرة ، ومما يراعى في الموافقة في المدن طيب المراعي لسائمتهم إذ كل صاحب قرار لابد له من دواجن الحيوان ، ولابد لها من المرعى فإنّ كان قريبا طيبا ، كان ذلك أرفق بحالهم ، ومما يراعى أيضا المزارع ، فإنّ الزروع هي الاقوات ، ومن ذلك الشجر للحطب والبناء ، فإنّ الحطب مما تعمّ البلوى في اتخاذه لوقود النيران للاصطلاء والطبخ، والخشب أيضا ضروري لسقفهم وكثير مما يستعمل فيه الخشب من ضرورياتهم...."^٤.

من خلا النص نجد أنّ الشرط الثاني عند ابن خلدون لإختطاط المدن هو جلب المنافع وأكثر المنافع المتعلقة بالماء النقي الفدية السهلة الحصول بالإضافة إلى طيب المرعى وقرب المزارع وأخير توفر الشجر للحطب والخشب^٥.

^١ عبد الستار محمد عثمان: المدينة الإسلامية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، أوت ١٩٨٨ م ،

ص ٢١ ، ٢٢ .

^٢ ابن خلدون: المقدمة، ص ٢١٠ .

^٣ الطاهر طويل ، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط ، ص ٥٢ .

^٤ ابن خلدون: المقدمة ، ص ٢٠٠ .

^٥ الطاهر طويل: المرجع السابق ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

المدينة والكتابات الإستشرافية :

نال التراث العربي الإسلامي إهتمام الباحثين والعلماء والأجانب ، شكلت المدينة أهم عناصر هذا التراث الذي ناله المستشرقون ، واللافت للنظر هو إخضاع العديد منهم المدينة الإسلامية لإحكام المدن الرومانية والإغريقية واعتبار هذا الأخير مقياس للمدينة الإسلامية^١

واللافت للنظر هو أنّ دراسة المدن الإسلامية في العصر الحديث إرتبطت بحرك الإستشراق وتطور اتجاهاتها لاسيما بعد أنّ اهتمت الدراسات بحقل التمدن الإسلامي ونجد أنّ هذه الدراسات اتّحت إلى نتائج خالفت الواقع إلى حد بعيد^٢.

ونجد أنّ آراء الباحثين والمستشرقين قد تباينت في حكمهم عن المدينة والدور الذي أدّاه الإسلام كدين اتجّاه هذا الصرح الحضاري المعتقد ، فهناك المعترف بفضل الإسلام واهتمامه بالتمدّن وهناك من أنكر واعتبر أنّ الإسلام عرقل عجلة التمدن في العالم العربي الإسلامي.

يرى " ماكس فيبر " المدينة بقوله : إنّ مجتمع المدينة او المجتمع الحضري بمعناه الكامل لم يتحقق إلا في الغرب أنّ وجوده في بعض أجزاء من سوريا ولبنان والعراق ليس سوى استثناء^٣.

ونجد وضع خمس قواعد تجيب توفرها في المدن :

- ١- أن يكون في المكان حصن أو سور .
- ٢- أن تتوفر فيه سوق أو أسواق .
- ٣- ان تجد فيه محكمة او قضاء او تشريع يتمتع بقانون مستقل .
- ٤- وجود نقابة أو شكل من التعاون النقابي .
- ٥- أن يتمتع ذلك المكان بحكم ذاتي مركزي يستند إلى مبدأ الانتخاب^٤.

كما نجد استأش يقول " هي ذات موقع استراتيجي هام مما يجعل من غير المستبعد أنّها خلقت مدينة قديمة سابقة لها أو أنّها كانت على أنقاض مدينة سابقة لها ، شأن غيرها من المدن العربية الإسلامية " هذا الامر أسقط العديد من الباحثين مثل بلائول في وهم أنّ المدن العربية الإسلامية قد أنشأت على أنقاض مدن قديمة

^١ الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطوها في المغرب الأوسط ، ص ٧٠.

^٢ عبد الستار محمد عثمان: المدينة الإسلامية ، ص ٦ .

^٣ ناصف سعيد : المدينة الإسلامية - دراسة في نشأة التحضر - ، القاهرة : مكتبة الزهراء ، ١٩٩٩ م ، ص ٤٦ .

^٤ الطاهر طويل ، المرجع السابق، ص ٧٤ .

سبقتها وقلدتها^١، ويجيب عبد العزيز بن عبد الله على ذلك بقوله " وكان الطابع الحضاري يميز المغرب بأنّ المدينة الأزلية المتهمة لم تكن قبل حواضر متماسكة بل دساكر وقصورا"^٢، كما يقول " بلاهور " أنّ الإسلام لم يكن مشجعا أو دافعا إيجابيا لحركة التمدد ومن ثم ينفي أثر الإسلام على تكوين المدينة^٣، كما يقول " ستيرن " إنّ المدينة الإسلامية خالية من المؤسسات، لأنّ المجتمع الإسلامي لم يرث أيا من المؤسسات المدينة عن الحضارات القديمة اليونانية والرومانية كما أنّ الإسلام لم يُطوّر أيا من هذه المؤسسات ويرى أنّ الحضارة الإسلامية كان باستطاعتها السيطرة على ماكان موجودا قبل الفتح الإسلامي من مؤسسات المدينة وتطورها غير أنّها لم تقم بهذه العملية لانتهاء دور فعالية المؤسسات المدينة القديمة، فلم يبقى هناك شيء تسيطر عليه هذه الحضارة^٤،

نلاحظ من هذا القول أنّ ستيرن " غائب عنه ماهية الإسلام، إنّ مثل هذا الجهل عند المستشرقين الذين يؤكدون من خلاله غياب الإسلام وتعاليمه وتشريعاته عن المدينة والمظاهر الحضارية بها، لكن هذه القصور عندهم أثر على الصورة الحقيقية للمدينة وهذا ناتج عن عدم إطلاعهم على كتب الفقه والنوازل والحسية التي نجدتها ملئ بالتشريعات المتعلقة بالمدينة غير أنّ هذا لا ينفي أنّه يوجد في المستشرقين من أنصف المدينة الإسلامية و أعطاهما حقها نتيجة اطلاعهم على مبادئ الإسلام وتشريعاتهم المتعلقة بالتمدن والتحضّر فمثلا " جانيت أبو لغد " بعد دراستها نماذج من المدن الإسلامية وتوصلت إلى أنّ هذه المدن تسير وفق قانون إسلامي يحدد أشكال الملكيات وحقوق الارتفاق تحديدا واضحا، فحدد علاقة الملكيات الخاصة بالمرافق العامة، وينظم علاقة أصحابها بالجهات الرسمية للدولة، وأنّ هذا النظام يختلف عن نظام القانون الرماني الذي يحكم مدن أوروبا في العصور الوسطية^٥.

هذه النظريات أثّرت على الدارسين العرب الذين نظروا إلى الدراسات الإستشراقية* على أنهم أهانوا العرب يجعلهم قوم لا يجيدون البناء فهم يعيشون في بيوت من الشعر، يرتحلون وراء الكلاء من أجل الرعي^٦.

^١ اياد عاشور الطائي: تخطيط المدن في المغرب العربي، ٢٩.

^٢ اياد عاشور الطائي: المرجع السابق، ص ٣٠.

^٣ عبد الستار محمد عثمان: المدينة الإسلامية، ص ٨.

^٤ المرجع السابق، ص ٩.

^٥ عبد الستار محمد عثمان: المرجع السابق، ص ٧.

^٦ للمزيد حول الدراسات الاستشراقية أنظر: مقال: عبد الجبار ناجي " المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الأجنبية "، مجلة المورد، مج ٩-ع ٤، ١٩٨١م، العراق.

الفصل الثاني

الدوافع العسكرية والتجارية لنشأة المدينة في المغرب الأوسط

أولاً: التحول من الوظيفة العسكرية إلى الوظيفة المدنية

١ المسيلة من حصن عسكري إلى مدينة تستهوي الأندلسيين

٢ تيهرت من البداوة إلى عراق المغرب

٣ المنصورة من رباط عسكري إلى مدينة حضارية

ثانياً: التحول من الوظيفة التجارية إلى الوظيفة المدنية

١ تنس من قلعة للأندلسيين إلى حاضرة ساحلية بالمغرب الأوسط

٢ وهران من مرفأً تجاري إلى حاضرة ساحلية بالمغرب الأوسط

أولاً: التحول من الوظيفة العسكرية إلى الوظيفة المدنية

١- المسيلة من حصن عسكري إلى مدينة تستهوي الأندلسيين

تعتبر مدينة المسيلة من أهم المدن التي شيدت من قبل الفاطميين بالمغرب الأوسط وموقعها جعلها تحتل مركزاً استراتيجياً خاصة بما تعلق بالجانب العسكري وهي غير بعيدة عن المدينة الرومانية القديمة التي تعرف باسم "أذنه" أو "غربة"^١ وقد عرفت بعد تأسيسها "بالمحمدية"^٢ نسبة إلى مؤسسها الخليفة الفاطمي أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي^٣ هنا نجد أن أغلب المصادر التاريخية تتفق في رواية تأسيس المسيلة وتختلف في التاريخ الذي أسست فيه فابن عذاري يقول أن الخليفة الفاطمي أبا القاسم لما توجه إلى المغرب وجد مقاومة عنيفة عند جبل بني برزال^٤ ومنه توجه إلى الريف المغربي شمال المغرب الأقصى لفرض السيطرة على تلك المناطق عاد إلى إفريقية على الطريق المار بالهضاب العليا ... وعندما وصل إلى الحضنة أمر بتشيد المسيلة التي سميت بالمحمدية في عصر مؤسسها^٥.

كما نجد ابن حماد القريب من العصر يقول "وفي انصرافه هذا أمر بواد شهر المعروف اليوم بواد القصب فاخطت مدينة المسيلة و رسمها برمحها و هو راكب على فرسه و أمر ابن حمدون بن سهاك بن مسعود أجدامي المعروف بابن الأندلسية أن يبنها ويسمها بالمحمدية بناها وجعل لها بابين يسمى الأول باب القاسمية والثاني باب الأمور"^٦.

^١ حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، عين مليلة: دار الهدى، ٢٠١١م، ١٠٤/١.

^٢ المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، جمع: عبد الرحمن ديب، ط١، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م، ص ٣٩٧. عبد الحكيم العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، ط١، بيروت: أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م، ص ٤٥٩.

^٣ عبد الرحمن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، ٢٠٢٠/٢. المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، ص ٤٠٨.

^٤ بني برزال: هؤلاء من ولد ورنيد بن وائتن بن وردين بن دمر كما ذكره ابن حزم وكان بنو برزال هؤلاء بإفريقية وكانت مواطنهم منها جبل سالات وما إليها من أعمال المسيلة كانوا نكارية من فرق الخوارج. ابن خلدون: ديوان العبر، ٨٢/٧.

^٥ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال و ج.س. كولان، ط٣، بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٣، ٢٣١/١.

^٦ ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، فوندر هايدن، الجزائر ١٩٢٧، ص ٢٦.

أما ابن خلدون فيقول: "و اضطرب المغرب فبعث المهدي ابنه أبا القاسم غازيا إلى المغرب في عساكر كتامة وأولياء الشيعة سنة خمسة عشر وثلاث مائة ... وفتح أبو القاسم بلد مزاتة و مطماطة و هواة وسائر الإباضية و الصفرية ونواحي تاهرت قاعدة المغرب الأوسط ... فافتتح بلد لكور من ساحل المغرب الأوسط ... ودون أقطار المغرب ومر بمكان بلد المسيلة و بها بنو كملان من الهوارة ، وكان يتوقع منهم الفتنة فنقلهم إلى فج القيروان وقضى الله أن يكونوا أولياء لصاحب الحمار عند خروجه ولما نقلهم أمر ببناء المسيلة في بلدهم وسماها المحمدية.^١"

وقد أمر القائد الفاطمي علي بن حمدون ببناءها و تحصينها وقد ولي عليها بعدما صارت قاعدة الزاب بعدما كانت طبنة ولعل ذلك راجع إلى موقعها الإستراتيجي وقد كان اختلاف بين المؤرخين في تأسيسها فهناك من يرى أنها بنيت سنة ٣١٥هـ^٢ . وهناك من يقول ٣١٣هـ^٣ لكن المهدي بوعبدلي يرجح أن تاريخ ابتداء بناءها هو ٣١٣هـ و الانتهاء من بناءها كان ٣١٥هـ^٤.

لقد كان الهدف من بناءها هو مراقبة القبائل المعادية للدولة الفاطمية وفي مقدمتهم المغراويين^٥ الذين تحالفوا مع أموي الأندلس إضافة إلى الزناتيين^٦ خاصة بني برزال المواليين للدولة الرستمية ، فحين رأى أبا القاسم

^١ ابن خلدون، ديوان العبر، ٤ / ٥١.

^٢ عبد الرحمن الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ٢٠ / ٢٢٠ .

^٣ ابن خلدون، ديوان العبر، ٤ / ٥١. المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، ص ٣٩٩، حساني مختار: الحواضر والأمصاير الإسلامية الجزائرية ،

١ / ١٠٥ . عبد الرحمن الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ٢٠ / ٢٢٠ .

^٤ المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن ، ص ٣٩٧.

^٥ بني مغراوة: يمتد موطن مغراوة من تلمسان غربا الى الشلف شرقا، ظهرت منها امارة بني خزر، ثم امارة زيري بن عيطة و أولاده في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، ظلت مغراوة تتميز بالطابع البدوي الريفي، وقلة النفوذ والقوة، مما جعلها تتعرض لضربات بني عبد الواد من حين لآخر، وعلى الرغم من ضعفها وقلة عددها إلا أنها ظلت تناصبهم العداء، كلما اتاحت لها الفرصة لذلك. أنظر: ابن خلدون: ديوان العبر، ٧/ ٥٠.

^٦ زناتة: قبيلة مغربية تتكون من بطون عديدة متشعبة يذكرها ابن خلدون بـ "شعوب زناتة" لكثرتها وللهجتها التي تختلف فيما يبدو عن اللهجات اللهجات الأمازيغية الأخرى و الدليل على ذلك قول ابن خلدون: "وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها، وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر" ويذهب بعض الباحثين إلى أن لهجتها تنتمي إلى أصول سامية وتلتق مع اللغة العربية في بعض خصائصها تتواجد أكثر بطونها بالمغرب الأوسط حتى سمي باسمهم "وطن زناتة" كانت تقطن من وادي ملوية غربا إلى وادي الشلف شرقا، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى اقليم تيهرت جنوبا، وقد قسمها ابن خلدون إلى فرعين أساسيين: الأول: يتكون من جرارة بني يفرن مغراوة بني يلومي ومانو. أما الثاني: فيتكون من: بني واسين ، وهي التي عرفت فيها بعد بني عبد الواد وبني مرين وبني توجين. أنظر: ابن خلدون: ديوان العبر، ٧ / ٣٤.

استحالة القضاء عليهم عمد إلى بناء المسيلة حتى تكون بمثابة القاعدة العسكرية لمراقبة تحركات تلك القبائل^١. إن هذا يعكس إلى حد كبير السياسة الحربية للدول على حياة المدن التي اتصلت بذلك و تنوعت آثار هذه السياسة في المدن الإسلامية ، فمن هذه المدن من أنشأ لكي يحقق في الأصل غرضاً أمنياً وقد كان لإضطراب الأوضاع السياسية أو استقرارها أثره على المدن وتطوراتها^٢

ومن خلال النصوص التاريخية يتضح إن المسيلة أسست في ظروف تميزت بالاضطرابات^٣ ونجد أن هذه الظروف قد ألقت بظلالها في خطط المدينة وموقعها .

فقد اتخذ بن حمدون مؤسسها الطابع العسكري في تشييدها فأحاطها بالأسوار ونجد ذكر لهذه الأسوار عند جل المؤرخين و الجغرافيين كابن حوقل الذي يقول "لها سور حصين من طوب"^٤ . أما البكري فيقول "عليها سوران بينهما جدول ماء جار يستدير بالمدينة له منافذ يسقى منها عند الحاجة ... ونهر سهر الذي عليه مدينة المسيلة منبعثة من عيون مدينة غدیر"^٥ .

من خلال النص نجد أن للمدينة سوران بينهما نهر وهذا أسلوب من أساليب الدفاع كانت تتخذه المدن في العصر الوسيط^٦ .

وقد كانت المدينة تبعد عن طينة مسافة مرحلتين^٧ ، ومن مقرة إلى المسيلة مرحلة^٨ ومن مسيلة إلى سطيف مرحلتين، وبينها وبين يشير مرحلتان^٩ ، أما القيروان فتبعد عنها بأربعة عشر مرحلة، هنا نلاحظ أن المسيلة كانت همزة وصل بين المهديّة (مركز الشيعة) والمناطق الراضية للسلطة الفاطمية وهنا يبرز دورها العسكري أكثر^{١٠}.

^١ مختار حساني: الحواضر والأمصار الإسلامية، ١ / ١٠٥ .

^٢ محمد عبد الستار ، المدينة الإسلامية ، ص ٢٧٣ . الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، ص ٢٥٦ .

^٣ الطاهر طويل، المرجع السابق، ص ٢٥٠ .

^٤ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٨٥ .

^٥ البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ٥٩ .

^٦ الطاهر طويل: المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

^٧ ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب ، ١ / ٢١٤ . الطاهر طويل: المرجع السابق، ص ٢٥١ .

^٨ ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٨٥ ، الطاهر طويل : المرجع السابق، ص ٢٥١ .

^٩ ابن حوقل: صورة الأرض ، ص ٨٨ .

^{١٠} طاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط ، ص ٢٥٢ .

خاصة لما نرى توصيات الدولة الفاطمية لعامل المسيلة بإكثار الطعام وتخزينه وحفظه جيدا إلى أن خرج أبو يزيد الخارجي ولقيه المنصور بن القائم بن المهدي، وكان يمتار. يأخذ. منها ما يريد اذ ليس بالمنطقة سواها^١. هنا نلاحظ أن أبا القاسم جعل منها مخزنا استراتيجيا للمؤونة أوقات الأزمات المحتملة حتى تكون عوناً للجيش الفاطمي.

ولما كانت الغاية من بناء المدينة هو التحصين والتعسكر بها ومواجهة العدو كان لابد أن يبرز الطابع البدوي بها فقد كانت تلك الخشونة المعروفة عند أهل البدو مطلوبة لتحقيق ذلك الغرض الأمني، فنجد المنطقة قد أحيطت بجزام من القبائل التي تعودت العصيان على السلطة تمثلت في قبائل بني برزال الذين أصبحوا موالين لجعفر بن علي بن حمدون بعد معركة يزيد بن مخلد الكيدادي^٢.

لكن رغم الأزمات التي مرت بها المدينة إلا أنها تجاوزت ذلك الطابع العسكري المسبوغ بالبداءة لتبرز في مجال التجارة و الحضارة و الفكر ضاهت فيها مدن المشرق و الأندلس.

فقد كان اختطاطها على موقع استراتيجي مرتبط بالعامل الاقتصادي تمثل في تأمين المسلك التجاري: سجلماسة-تلمسان-بلاد الزاب-افريقية^٣.

فقد كانت تسلك هذا الطريق القوافل التجارية خاصة المتوجهة لإفريقية والمشرق والمتوجهة لورجلان، ثم السودان الغربي وكذلك القبائل التي كانت لها رحلات من الصحراء إلى التل، بفضلها تمكنت من قطع الطريق على القبائل الزناتية المعادية للفاطميين^٤، فإضعافهم تجاريا يعني إضعافهم سياسيا وعسكريا .

^١ المقريري تقي الدين أحمد بن علي: اعطاء الحنف بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيبان، ط١، القاهرة: مطابع الأهرام ، ١٩٩٦، ١/٧٢ .

^٢ الطاهر طويل، المرجع السابق، ص١٠٥.

^٣ الطاهر طويل، المرجع السابق، ص٢٥٦، ٢٥٧. المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، ص٤٠٨.

^٤ حساني مختار: الحواضر والأمصا الإسلامية الجزائرية، ١/١٠٥.

هنا لا يمكن إغفال الدوافع الاقتصادية والتجارية أمام الأغراض الأمنية والعسكرية، فقد كان الفاطميون إلى تأمين مسلك تجاري خاص بهم على إعتبار أن المسلك الشمالي مهدد من طرف الأمويين الأندلسيين، في حين أن المسلك الصحراوي سيطر عليه الخوارج والقبائل الموالية لهم^١.

لكن ما يمكن ملاحظته هو أن المدينة سرعان ما تجاوزت ذلك الطابع البدوي نتيجة المبادلات التجارية والتجار الذي استقروا بها، وتطورت المدينة في عمارتها وحضارتها^٢، خاصة لما اتخذت عاصمة للزباب بدلا من طبة حينئذ نقلت إليها أغلب إدارات الدولة فتمصرت وكان عليها آنذاك جعفر بن علي^٣، واكتست حضارتها الطابع الأندلسي وبنى بها الفاطميون القصور و الحمامات ولن نجد أحسن من الشاعر ابن هاني الأندلسي^٤ الذي خلد حضارة المسيلة من خلال أشعاره^٥.

وقد عرفت المسيلة بالعديد من علماءها الذين حفظت كتب الطبقات والتراجم لسيرهم^٦.

^١ الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، ٢٥٦.

^٢ الطاهر طويل: المرجع السابق، ١٥٧.

^٣ جعفر بن علي: هو جعفر بن حمدون بن السماق بن مسعود بن منصور الجذامي الملقب بإبن الأندلسي أصل أسرهم من الشام وانتقل جدهم عبد الحميد إلى الأندلس فاستوطن البيرة ثم تنقل حفيده علي بن حمدون والد جعفر إلى بجاية فصحب فيها أبا عبد الله الشيعي ورافق علي بن حمدون عبيد الله المهدي إلى سجلماسة وبعد تأسيس الدولة الفاطمية عين علي بن حمدون واليا عليها ولما توفي في حروب الثائر أبي يزيد الخارجي سنة ٣٣٤هـ خلفه ولده جعفر بن علي على ولاية المسيلة ثم على إقليم الزاب . انظر: المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، ص ٤٠٧.

^٤ ابن هاني الأندلسي: هو أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي الأندلسي نشأ في إشبيلية على حظ وافر من الأدب ومهر من الشعر، ويقول ابن الأبار أن أكثر تأدبه كان في دار العلم في قرطبة، اتصل أول الأمر بصاحب إشبيلية ومدحه وحضي عنده، لكن إعتقاده إمامة الفاطميين وسلوكه مسلك المعري وتجرده من الدين جعل الأشبيليين ينقمون عليه حتى هموا بقتله، فخرج إلى عدوة المغرب، ثم قصد جعفر بن علي المعروف بإبن الأندلسية في المسيلة فمدحه وبالح هو في كرمه مات في برقة ولم يتجاوز السادسة والثلاثين. انظر: ابن هاني الأندلسي: ديوان ابن هاني الأندلسي، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٠م، ص ٥٦.

^٥ المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، ص ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤.

^٦ مختار حساني: الحواضر والأماصار الإسلامية الجزائرية ١/ ١٧٢.١١٨. عبد الرحمن الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ٢٢٠/٢. عبد الحكيم العفيفي: ١٠٠٠ مدينة إسلامية، ص ٤٥٩.

٢ - تيهرت من البداوة إلى عراق المغرب :

ان الدارس لمدينة تيهرت يجد نفسه أمام نصوص كثيرة متعددة الآراء و الأحكام حول بناء تيهرت و تعميرها ، وهنا يجب التنبيه إلى ضرورة التمييز بين تيهرت القديمة و تيهرت الحديثة التي بناها^١ الرستميين سنة ١٤٤هـ - ٧٦١م و هي المقصودة في الدراسة و يؤكد المهدي البوعبدلي أن مدينة تيهرت الحديثة التي بناها الرستميين هي مدينة تاقدمت الحالية^٢.

أسطورة التأسيس:

لقد نسجت أسطورة حول تأسيس مدينة تيهرت الرستمية تناولها العديد من المؤرخين ، فقد كان موقع المدينة جيد الهواء كثير المياه نمت فيه الأحراش و الغابات التي سكنتها الحيوانات الضارية و كيف ناداها ابن رستم بمغادرة المكان خلال ثلاث أيام فاستجابت لي وخرجت تحمل صغارا في أفواهها^٣ مقلدين في ذلك تأسيس عقبة لمدينة القيروان.

دوافع تأسيس مدينة تيهرت:

في سنة ١٤٠هـ/٧٥٧هـ استطاع الخوارج الإستيلاء على القيروان لكن نجد أنه لم يكن هناك اتفاق بينهم فقد اندلعت بينهم العديد من الإضطرابات وقد تأثر الإباضية بتلك الصراعات خاصة بعد وفاة أبي الخطاب عبد الأعلى السمع المعاري سنة ١٤٤هـ الذي كان قد ولى عبد الرحمن بن رستم على القيروان لكن اضطراب الأمور دفع هذا الأخير إلى الفرار إلى المغرب حتى لا يكون عرضة لملاحقة الجيوش العباسية^٤ ونزل

^١ الرستميين: هم أول دولة تأسست بالجزائر في العهد الإسلامي ، حول دولة بني رستم أنظر: ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تح: ابراهيم بحاز ، محمد ناصر ، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٦م . محمد عيسى الحريري ، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي ، الكويت : دار القلم للنشر ، ١٩٨٧م ، جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٩٨٤م.

^٢ المهدي البوعبدلي : تاريخ المدن ، ص ٢٠٨ ، مبارك بن محمد المليي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد المليي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٩، ٨٨/٢ .

^٣ محمود اسماعيل: الاسطوغرافيا و الموثولوجيا، ط١، القاهرة : رؤية للنشر و التوزيع ، ٢٠٠٩م ، ص ٢٧. للمزيد حول الأسطورة أنظر: البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ٦٨ . الباروني سليمان بن الشيخ: كتاب الأزهار الرياضية أئمة و ملوك الإباضية ، تونس : دار بو سلامة للنشر و التوزيع ، ص ٧ ، ٨ ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص ٢٠.

^٤ طاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطوراتها في المغرب الأوسط، ص ١٨٤ ، الباروني سليمان بن الشيخ: المصدر السابق ، ص ٢ .

على لماية^١ لقدسم حلف بينه وبينهم و قالوا له لا بد لنا من امامة ظهور بعد تأسيس مدينة حصينة منيعة بعيدة عن هجمات العدو تكون مأوى و مقرا و ملجأ انا في حربنا و سلمنا فأجابهم لذلك و استحسن رأيهم^٢.

وقد كان اختطاط المدينة قد خضع للشروط الذي وضعها أهل العلم فقد اختير الموقع بالقرب من مدينة قديمة و تحت اشراف أعيان متخصصين فبنوها في سفح الجبل كنزول الياح على تلول منداس واختطوها على وادي میناس النابعة منه عيون^٣.

وقد كانت بعيدة عن أعين العباسيين وهو ما يسمح بحماية الدولة الناشئة كما كانت محاطة بخزام قبائل أغلب أهلها إباضيون أمثال لواططة ، هواره ، مطماطة ، زناتة ، مكناسة^٤ الذي لعب دوره في حماية الدولة^٥ هكذا نجد أن عبد الرحمن بن رستم قد وفق في اختيار منطقة احتفى بها وبجبالها دون أن تصل إلية أيدي العباسيين أو غيرهم وقد خدم الموقع الإستراتيجي للمدينة المصالح الدفاعية للدولة الرستمية بفضل تحصيناتها الطبيعية أو المحدثه من قبل سكانها^٦.

وبعيدا عن الأهمية الدفاعية للمدينة فقد كانت لها أهمية تجارية لا يمكن اغفالها بفضل موقعها وقد تحدث عن الجغرافيون في العديد من المواضع^٧.

^١ لماية: قبيلة بترية ، وهي من بطون فاتن بن تمصيت ، كانوا ضواعن بأفريقية و المغرب انتسبوا للمذهب الإباضي وهم من استقبلوا عبد الرحمن بن رستم ، ابن خلدون يقول أنهم انقضوا وهلكوا بهلاك مصرهم الذي وحازوه و ملكوه ، ابن خلدون: ديوان العبر، ١٥٨ / ٦ ، ١٥٨ ، ١٦٠ .

^٢ الباروني: كتاب الأزهار الرياضية أئمة و ملوك الإباضية ، ص ٤ ، ابن خلدون ، ديوان العبر ، ١٥٩ / ٦ .

^٣ الباروني: المرجع السابق ، ص ٦، ٧، ٨ ، البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٢٤٩ .

^٤ ابن خلدون: ديوان العبر، ١٥٩ / ٦ ، اسماعيل العربي: المدن المغربية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤م، ص ١٤٤. محمد عيسى

الحريري: الدولة الرستمية ، ص ٩٧ . الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، ص ١٩٠ .

^٥ البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص ٦٧ . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٨/٢ . ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ص ٢٥/١ .

^٦ الطاهر طويل : المرجع السابق، ص ٢٠٠ .

^٧ اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ١٤٣، ١٤٩ . عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ١٧٥. ١٧٦/٢ . حساني مختار:

موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية- مدن الغرب-، الجزائر: دار الحكمة، ٢٠٠٧م، ج ٤، ٣٠٥ .

فذكر الإدريسي " إن المدينة بها ناس وجمل البرابر و لهم تجارات و صناعات و بضائع و أسواق عامرة و بأرضها مزارع و ضياع جمة و بها من نتاج البراذين و الخيل كل حسن و أما البقر و الغنم بها كثيرة جدا وكذلك العسل و السمن و سائر غلاتها كثيرة مباركة^١.

ونتيجة لذلك تطور النشاط التجاري حيث أصبحت مستقرا للتجار فزاد الوافدون عليها وزادت التجارة حيوية و اتخذ الكثير منهم تيهرت مستقرا لهم^٢.

لقد ألقى الإستقرار الأمني والإزدهار التجاري بظلاله على المدينة التي أصبحت حاضرة العلم و الحضارة و الفنون .

تيهت حاضرة المغرب:

لقد بلغت تيهت في عهد أئمة الرستميين شأنا عظيما من التمدن و العمران حتى أصبحت تضاهي قرطبة و بغداد و دمشق ، فقد كانت تدعى بعراق المغرب ، سكن بها أهل الكوفة و البصرة و القيروان و الأندلس و بلاد العجم وغيرهم ، وقد كان أئمتها يعقدون مجالس العلم و التعليم يعلمون الناس ويلقون عليهم دروسا في المساجد^٣ وقد كانت تفتخر تيهت بعلمائها و عالماتها الذين برعوا في مجالات العلوم الآداب والفنون^٤ كما بنوا بها مكتبة المعصومة التي تجاوز عدد كتبها ٣٠٠ ألف كتاب^٥

^١ الإدريسي: نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، ص ٢٨.

^٢ الطاهر طويل : المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، ص ٢١٧.

^٣ عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ١٧٤/٢. محمد مبارك الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ٨٩/٢.

^٤ مختار حساني : الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ٢٥٤/٣، ٢٥٩. المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، ص ٢١١. عبد الحكيم العفيفي:

١٠٠٠ مدينة إسلامية، ص ١٦٣.

^٥ عبد الحكيم العفيفي: المرجع السابق، ص ١٦٤.

لقد رسم لنا العديد من المؤرخين أمثال ابن صغير ، وابن خلدون العديد من الصور حول تيهرت وكيف تطورت فانتقلوا بنا من صور جسدت البساطة و البداوة في حياة المدينة إلى أن وصلوا بنا من خلال أوصافهم إلى تلك المشاهد المعقدة و المركبة التي تنم عن الحضارة و العمارة و العمران و العلوم.

وقد أعاد ابن خلدون ذلك إلى غياب عامل الترف عن المدينة في بدايات تأسيس ملك الرستميين الذي يرى في الملك عامل لتطور ونمو البناء و العمارة فقد قال في مقدمته الشهيرة: " عندما تكون الدولة يدوية في أول أمرها تفتقر في أمر البناء إلى قطرها كما وقع للوليد بن عبد الملك ^١ ."

لكن هذا الحال لم يلبث أن تغير و تبدلت أحوال الدولة نحو الرخاء بفضل سياسة من حكمها ^٢ .

^١ ابن خلدون : المقدمة، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

^٢ الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، ص ١٩٣. مختار حساني: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ٢٢٤/٣.

٣ - المنصورة من رباط عسكري إلى مدينة حضارية :

تعتبر المنصورة من أهم آثار تلمسان التاريخية بروزا و قصة انشاءها تولدت عن أطماع السلطان المريني يوسف بن يعقوب^١ ٦٨٥-٧٠٦ هـ ١٢٨٦-١٣٠٦ م في السيطرة على تلمسان و إقليمها وقد كانت هذه الأطماع وليدة الخصومة الشديدة التي كانت بين العرش المريني و العرش الزياني^٢ فقاد يوسف بن يعقوب المريني العديد من الحملات العنيفة و المتكررة على عاصمة بني زيان حاول خلالها اقتحام أسوار مدينة تلمسان لكن كل محاولاته كللت بالفشل ٦٨٩ هـ - ١٠٢٩ م ، ٦٩٥ هـ - ١٢٩٦ م ، ٦٩٨ هـ - ١٢٩٩ م . أعنف هذه الحملات و أطولها الخامسة ٦٩٨ هـ - ١٢٩٩ م^٣.

بناء المدينة:

هناك مجموعة من العوامل السياسية و العسكرية و المناخية فرضت على السلطان المريني التفكير في بناء المدينة فطموحاته السياسية لا تحقق إلا بفتح تلمسان ، لكن الوضع العسكري و مناخ المنطقة كانا من العوامل المعيقة لذلك فقد أدرك أن ذلك يتطلب سنوات عديدة فلم يكن أمامه إلا بناء مدينة عسكرية لجيوشه وللعائلات المرافقة لحملته حتى تكفل لهم الأمدادات المختلفة التي قد تتطلبها اقامتهم الطويلة في غير منازلهم وديارهم في محاصرة تلمسان^٤ قام يوسف بن يعقوب ببناء مدينة غرب تلمسان سماها المنصورة^٥ وهناك من يطلق عليها اسم تلمسان الجديدة كأبن زرع^٦.

^١ هو الأمير يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكرين حمادة بن وزير بن فحوس بن جرماط بن مرين ينسب الى زناتة أنظر المقريري: السلوك لمعرفة الملوك ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ م، ٤٠٥/١. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط: دار المنصورة للطباعة و الوراقة ، ١٩٧٢ م ، ص ٣٧٤.

^٢ بنو مرين : أنظر ابن خلدون، ديوان العبر، ٣٤٢/٧ وما بعدها . بنو زيان: أنظر يحيى بن خلدون: بغية الروادفي ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر: مطبعة بيبير فونطانا الشرقية، ١٩٠٣ ، بن خلدون: ديوان العبر ، ١٤٨/٧ وما بعدها.

^٣ عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني- دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية-، الجزائر: موفم للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ ، ١ / ٢٧ .

حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية، - الأحوال السياسية-، الجزائر: منشورات الحضارة، ٢٠٠٩ ، ١١٠/١ .

^٤ لعرج محمود عبد العزيز: مدينة المنصورة المرينية بتلمسان- دراسة تاريخية أثرية في عمارتها وفنونها- ، ط١، القاهرة: زهراء الشرف ، ٢٠٠٦ ، ص ٥٦، ٦٠.

^٥ ابن خلدون : ديوان العبر ، ٢٩١/٧ .

^٦ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ص ٣٨٨.

فقال ابن خلدون " واختط بمكان فسطاط المعسكر قصرا لسكنائه واتخذ به مسجدا لمصلاه وأدار عليها السور ، و أمر الناس بالبناء فبنوا الور الواسعة و المنازل الرحبية ... فكانت من أعظم الأمصار و المدن ... وسماها المنصورة واستبحر عمرائها ونفقت أسواقها ^١ .

ومن خلال النص يظهر أن المدينة بنيت في موضع الفسطاط أو المعسكر و هي ظاهرة تاريخية حضارية وعمرانية عند المسلمين تعود الى الفترات الأولى من الفتح الإسلامي ^٢ .

واختيار موضعها فقد كان بالنسبة لمدينة تلمسان، بحيث يحقق لهم هذا الموقع الأغراض الأمنية و العسكرية لذلك فقد كانت في موضع المعسكر المريني في مجشر بن الصقيل ^٣ و نجد السلاوي أدق في تحديده للمدينة بقوله "أنها بغرب تلمسان" ^٤ . وقد راعى مؤسسها الموقع الإستراتيجي الملائم لحالات الدفاع و الهجوم أو الإنسحاب فعسكريا هي تتصل اتصالا مباشرا بالمغرب المريني وعاصمة فاس ^٥ .

أهمية المدينة حضاريا:

صحيح أن المدينة أقيمت لتكون عسكرية لكنها لم تقتصر على ذلك فقط بل كانت أكثر من ذلك، فقد كانت عاصمة السلطان وحاشيته ومنها تنطلق ركب الحجاج وترسل الوفود للدول و إليها تقبل ^٦ وبذلك جمعت مدينة المنصورة بين خصائص المدن العسكرية وخصائص المدن الحضارية ^٧ . أصبحت محطة للقوافل التجارية التي تنطلق الى اصقاع البقاع في المغرب و المشرق و السودان فأصبحت عاصمة المغرب الأوسط بدل تلمسان ^٨ .

^١ ابن خلدون: ديوان العبر ، ٧، ٢٩٢/٢٩٣.

^٢ لعرج محمود عبد العزيز: مدينة المنصورة المرينية بتلمسان - دراسة تاريخية أثرية في عمارتها وفنونها - ، ص ٥٧.

^٣ يحيى ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك بني عبد الواد، ص ٢١٠، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص ٢٧٤.

^٤ الناصري أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري، ج ٣، الدار البيضاء: دار الكتاب ، ١٩٥٤م، ص ٨٠.

^٥ ابن خلدون: ديوان العبر ، ٧ / ٢٩١.

^٦ عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني - دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية -، ص ٢٧.

^٧ لعرج محمود عبد العزيز: المرجع السابق، ص ٥٧.

^٨ عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ، ص ٢٧.

ثانيا: التحول من الوظيفة التجارية إلى الوظيفة المدنية

١- تنس من قلعة للأندلسيين إلى حاضرة ساحلية بالمغرب الأوسط :

تنس: بفتحتين و التخفيف، والسين مهمة^١ وهي من أهم المدن الجزائرية خلال العصور الوسطى نتيجة الأدوار التي لعبتها، ويجب التنبيه الى أنه هناك مدينتان الأولى قديمة ترجع الى العهد الروماني وأخرى حديثة تعود الى العهد الإسلامي^٢ وهي المقصودة بالدراسة وهي آخر إفريقية مما يلي الغرب بينها وبين وهران ثمانية أيام أيام ومليانة في جنوبها على ثلاثة أيام وقيل أربعة وبينها وبين تيهرت خمس مراحل أو ست^٣.

تأسيس المدينة:

كثيرا ما كان البحارة الأندلسيون يرتادون السواحل الجزائرية، و الأماكن المنيعه منها أمنا من الزوابع و الإضطرابات البحرية للتجارة أيضا، وكان مما اعتادوا النزول به ساحل تنس و وهران خاصة في الشتاء كان يقصدون تنس ولم يكن بها سوى قلعة أنذاك^٤.

يقول أبو عبيد البكري" تنس الحديثة أسسها و بناها البحريون الأندلسيون من أهل الأندلس منهم الكركدن وابن عائشة والقصر و صهيب وغيرهم وذلك سنة اثنين وستين ومائتين"^٥.

فحسب النص أن الأندلسيون هم المؤسسون الحقيقيون للمدينة الجديدة و التي كانت بجانب القديمة التي ستشهد اقبال للسكان في فترة وجيزة^٦

^١ ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ٤٨/٢ .

^٢ ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ٤٩/٢ . مختار حساني: موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية، ١٩٤/٤ . اسماعيل العربي: مدن مغربية ، ص ١٥١.

^٣ الباروني سليمان: الأزهار الرياضية ، ص٤٦ . اسماعيل عربي: مدن مغربية، ص ١٥٢ . مختار حساني: الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية، ١٢٣/٣ .

^٤ عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ١٨٥/٢ .

^٥ ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ٤٨/٢ . اسماعيل العربي: مدن مغربية، ص ١٥١ .

^٦ مختار حساني: الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية، ١٢٥/ ٣ .

ويؤكد المهدي بوعبدلي أن تأسيس مدينة تنس كان في فترة كان الحكم فيها لدولة قبيلة مغراوة^١ الذي أسسوا أول دولة في الجزائر^٢.

وقد كان بناء المدينة نتيجة اتفاق بين بربر المنطقة و الأندلسيون، فنذكر الروايات التاريخية و الجغرافية أن سكان هذا القطر رغبوا الأندلسيين في الانتقال الى تنس وسألوهم أن يتخذوها سوقا ويجعلوها سكن و وعدوهم بالعون و الرفق وحسن المجاورة و العشرة فأجابوهم الى ذلك وانتقوا الى القلعة وخيموا بها^٣.

هذا ما يبيده ظاهر النصوص لكن عند التمعن جيدا فيها ومقاربة الروايات بعضها ببعض نجد أن الثراء و توفر المال لدى التجار الأندلسيين خاصة الذين استفادوا من الخطوط الملاحية المغربية الأندلسية ، كان سبب قويا في دعمهم المادي لإنشاء مدن قريبة من الساحل لتحقيق الإستقرار و حماية مصالحهم التجارية و المالية المترتبة عن هذا النشاط التجاري التمدني^٤.

وقد أكد الفكر الإسلامي على أن العمارة سبيل الملك بما تدره من الأموال عندما اعتبر أن "الملك بالجنـد ، و الجنـد بالمال ، والمال بالعمارة". وهذا يشير بوضوح الى أن العمارة هي المحك الأساسي للحركة الإقتصادية^٥ و في هذه الفترة نلاحظ افتخار المغرب الى المغرب الى المدن الساحلية و توفرها فقط على المراسي كما أشار الى ذلك ابن حوقل^٦ ومنها الى مدينة وهران مراس لا مدن لها مشهورة كمرسى عطا و ليس به أحد يسكنه....^٦.

من خلال النص تتضح لنا حاجة الأندلسيين الى تأسيس مدن مغربية ترعى المراسي التجارية القريبة منها وذلك لوضع شبكة تجارية أندلسية قارة و نشيطة^٧.

^١ بني مغراوة: يمتد موطن مغراوة من تلمسان غربا الى الشلف شرقا، ظهرت منها امارة بني خزر، ثم امارة زيري بن عيطه و أولاده في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، ظلت مغراوة تتميز بالطابع البدوي الريفي، وقلة النفوذ والقوة، مما جعلها تتعرض لضربات بني عبد الواد من حين لآخر، وعلى الرغم من ضعفها وقلة عددها إلا أنها ظلت تناصبهم العداء، كلما اتاحت لها الفرصة لذلك، أنظر ابن خلدون: ديوان العبر، ٥٠/٧.

^٢ الطاهر طویل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، ص ٣٩٩.

^٣ الطاهر طویل: المرجع السابق، ص ٣٣٥.

^٤ وردة شرقي: مدينة وهران في العصر الوسيط (٢٩٠-٩١٦هـ/٩٠٢م-١٥٠٩م) - دراسة مونوغرافية - ، رسالة ماجستير تخصص المدينة الحضرية في الغرب الإسلامي، ٢٠١٢-٢٠١٣م/١٤٣٣هـ-١٤٣٤هـ، ص ٢٨.

^٥ محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، ص ٢٣.

^٦ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٨.

^٧ وردة شرقي: المرجع السابق، ص ٢٩.

وبعد ذلك أصبحت عاصمة من عواصم القطر الجزائري ومركزا علميا ثقافيا اشتهر بها جماعة من العلماء منهم ابراهيم بن عبد الرحمن التنسي مفتي مدينة الزهراء بالأندلس^١.

٢ - مدينة وهران:

أصل ومعنى تسمية وهران:

وهران بفتح أوله، وسكون ثانيه وآخره نون^٢ وان كان معظم الباحثين القدامى و المحدثين تعرضوا لنطق الكلمة وحركات حروفها حيث اتفق معظمهم حول نطقها كما وردت عند ياقوت الحموي^٣، ظهر الاختلاف حول أصل التسمية ومعناها، حيث لا يوجد مصطلح "وهران" في القوامس العربية كلسان العرب لابن منظور، القاموس المحيط للفيروزآبادي، وهذا يدل على أنها ليست ذات أصل أو اشتقاق عربي^٤ أصل كلمة يمكن أن نجد له ثلاثة احتمالات^٥:

١- وهران بفتح الواو ، جمع لكلمة مفرداها أهري AHRI و تعني المستودع و المخزن ويعتمد في هذا التفسير على ما جاء في كتاب "دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران"^٦.

٢- وهران بكسر الواو، وهي كلمة بربرية تتكون من مقاطع هي:

WI: أداة تصدير لمفرد و WA معناها" الذي هو CELUI أو مكان في L'ENDOITA أو "الى- ب AUX^٧.

^١ عبد الرحمن الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ٢ / ١٨٦.

^٢ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٨٥/٥.

^٣ أبو الفدا عماد الدين : تقويم البلدان، تصحيح: البارون ماك كوكين دوسلان، باريس: دار الطباعة السلطانية - بيروت: دار صادر، ١٨٦٠

ص ١٢٤. وردة شرقي: مدينة وهران في العصر الوسيط (٢٩٠-٩١٦هـ/ ٩٠٢-١٥٠٩م) - دراسة مونوغرافية - ، ص ١٤٣.

^٤ بشير مقييس: مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٣، شرقي وردة: المرجع السابق، ص ١٤٤.

^٥ اختلف في سبب تسميتها بوهرا ن على سبع أقوال أو احتمالات ، حسب محمد بن يوسف الزياتي. أنظر: الزياتي محمد بن يوسف : دليل الحيران الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم: المهدي بوعبدلي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ١٩٧٨، ص ٣٢-٣٣.

^٦ الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط ، ص ٣٣٨، بشير مقييس: المرجع السابق، ص ٨٠.

^٧ طاهر طويل: المرجع السابق، ص ٣٣٨، بشير مقييس، المرجع السابق، ص ٨١.

هر HR: وهو مرادف أهر = إهران (AHR-IHRAN) ومعناها في لغة تيفنغ الطوارق (سكان الهقار) "الأسد"^١.

آن AN: وهي علامة جمع في اللغة البربرية مثل "EN" ومن خلال مشتقات الكلمة يكون معناها هو "مكان الأسد"^٢.

٣- أما الاحتمال الثالث فهو أن تنطق الكلمة بفتح الواو و سكون الهاء و فتح الراء بعدها آلف ساكنة ثم نون في الأخير ومعناها في لغة بربر زناتة "الثعلب"^٣.

تأسيس المدينة:

هناك روايتان تاريخيتان حول نشأة مدينة وهران.

الرواية الأولى: اعتمادا على النصين التاليين: "مدينة وهران هي مدينة على ضفة البحر بناها جماعة من الأندلسيين البحريين بسبب المرسى، بالاتفاق مع قبائل البربر المجاورين لها، فسكنوها مع قبائل من البربر يقال لهم مسكين نحو ٨ أعوام"^٤.

النص الثاني: "... ومدينة وهران حصينة ذات مياه سايحة و أرحاء ماء و بساتين ولها مسجد جامع بنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران،

^١ بشير مقييس: مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران ، ص ٨١ .

^٢ الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، ص ٣٣٨، بشير مقييس، المرجع السابق، ص ٨١.

^٣ الطاهر طويل: المرجع نفسه، بشير مقييس ، المرجع نفسه .

^٤ مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦، ١٣٣ .

بإتفاق منهم مع نغزة^١ وبني مسغن^٢ وهم من ازداجة كانوا أصحاب القرشي سنة تسعين ومائتين فاستوطنوها سبعة أعوام^٣.

من خلال النصين يتضح أن الذي بنى وهران هم جماعة من الأندلسيين بإتفاق مع قبائل بني مسغن ز نغزة^٤. وجل المصادر التاريخية تؤكد أنه كان في مؤائى وهران قائدان أندلسيان تابعان للدولة الأموية مع مجموعة من التجار وسفنهم التجارية وهما محمد بن أبي العون و محمد بن عبدون على علاقة حسنة مع القبائل المجاورة خاصة بني مسغن وكانت تلك العلاقة تتعلق بالجوانب التجارية^٥.

وقد ذكر ابن خلدون ذلك " نزل وهران من رجال الدولة الأموية محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون، فدخلوا بني مسكن و ملكة وهران سبع سنين مقيمين فيها للدعوة الأموية"^٦.

من خلال النص يتضح أن هناك دافع سياسي من قبل الأمويين كوراء نشأة مدينة وهران ، لكن نعرف أن الأندلس كانت تعرف في هذا الوقت اضطرابات وانتشار الفن و التمردات فهل يعقل أن تقيم بإنشاء مدن على الساحل المغربي؟^٧.

في المقابل نرى من خلال العديد من النصوص أن وهران مكانة وهران الاقتصادية و التجارية لأنها على الطريق التجاري الذي يربط غرب المغرب الإسلامي بشرقه كذلك سهولة الإتصال بالمدن الداخلية كتلمسان و تيهرت

^١ نغزوة: هم بنو تطوفت بن نغزوا بن لوا الأكبر بن زحيك، ويطوغم كثيرة مثل " غساسنة و مرنيسة و زهيلة و سومانة و زاتيمة و ولهاصة و بحرة و ورسيف...."انظر ابن خلدون: ديوان العبر، ١٥٠/٦ وما بعدها.

^٢ بنو مسغن: وردت بنو مسكن عند صاحب كتاب الاستبصار كما رأينا في النص الأول، أما ابن خلدون فيقول بنو مسغن ويقول عنهم أنهم من بطون ازداجة وكانوا يجاورون وهران. ابن خلدون: ديوان العبر، ١٩١/٦.

^٣ البكري: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ص ٧٠. إزداجة: يعرفون أيضا وزداجة من بطون البرانس وكثير من نسابة البربر يعدوهم من بطون زناتة، ويقال إن إزداجة من زناتة و وزداجة من هواره أنهما بطنان متفرقان وكان لهم وفور وكثرة وكانت مواطنهم بالمغرب الأوسط بناحية وهران.

= أنظر: ابن خلدون: ديوان العبر، ١٩٠/٦-١٩١

^٤ ورده شرقى: مدينة وهران في العصر الوسيط (٢٩٠-٥٩١٦م/٩٠٢-١٥٠٩م) - دراسة مونوغرافية - ، ص ٢٧ .

^٥ مختار حساني: الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية ، ١٤٩/٣ .

^٦ ابن خلدون: ديوان العبر، ١٩١/٦.

^٧ ورده شرقى: المرجع السابق ، ص ٢٨ .

وغيرها من مراكز التجارة في الهضاب العليا كما تتوسط موانئ الغرب الجزائري ، لذلك كانت السفن القادمة من الغرب و الشرق تتوقف بها ، كما يوجد بها طريق تجاري يربط وهران بالسودان الغربي^١.

وحسب الباحث عبد العزيز قيلالي فقد وقع تحالف بين الرستميين الخوارج في المغرب الأوسط و الأمويين الأندلسيين للوقوف في مواجهة أخطار الأغلبة و الأدارسة^٢. وبالتالي فتأسس الأندلسيين لمدن على العدو المغربية جاء لربطها بخلفاءها الرستميين من جهة ولقطع الطريق أمام الهيمة الإدريسية على مرافئ المغرب الأوسط و احتكارهم لتجارتها من جهة أخرى^٣.

الرواية الثانية:

أعلم أن من اختط وهران أي بناها و أسسها و مدنها و حرسها هو المغراوي خزر بن حفص بن صولات بن وزمار بن صقلاب بن مغراو... وذلك في عام اثنين و تسعين وقبل تسعين من القرن الثالث من الهجرة وهذا القول الأخير هو الأصح حسب الحافظ أبو راس في غريب الأخبار^٤. كما يؤكد ذلك المهدي بو عبدلي بأن تأسيسها ارتبط بالأندلسيين وبأذات البحارة الذين كانت قوافلهم تجوب شواطئ البحر المتوسط، وكان ذلك سنة ٢٩٠ هـ وكان الحكم آنذاك لقبيلة مغراوة في عهد الأمير خزر المغراوي وكان مواليا لخلفاء بني أمية بالأندلس^٥.

قال الحافظ أبو راس في سينيته التي أسماها نفيسة الجمان ويقال لها الحلل السندسية:

بنتها مغراوة بإذن موالهم الأمويين أمراء أندلس

ثالث قرن خزر منهم قد أسسها وملكهم في غاية العز والشمس^٦

^١ مختار حساني: الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية، ١٤٨/٣-١٤٩.

^٢ عبد العزيز قيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط٢، القاهرة: دار الفجر للنشر و التوزيع، ١٩٩٩، ص٩٦، ٩٧.

^٣ ورده شرقي: مدينة وهران في العصر الوسيط (٢٩٠-٩١٦ هـ/٩٠٢-١٥٠٩ م)- دراسة مونوغرافية - ، ص ٢٨.

^٤ محمد بن يوسف الزباني: دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ص ٢٥.

^٥ المهدي بو عبدلي: تاريخ المدن، ص ٣٦٢.

^٦ محمد بن يوسف الزباني: المرجع السابق، ص ٢٥.

لكن لمغراوة أن تأسس مدينة ساحلية وهي تعتبر من القبائل الداخلية التي تتجنب القرب من الساحل، وهل كانت ظروف الأندلس تسمح بالدخول في تأسيس وبناء مدن جديدة؟.

من خلال الروايتين يتضح أن الرواية الأولى هي الأصح لقدم نصوصها التي عايشت الأحداث أو كانت قريبة العهد بها وكانت معلوماتها عن التأسيس أوضح وأدق إضافة إلى أن هيمنة مغراوة على المرافئ و السواحل كانت في فترة الصراع الأموي الشيعي على المغرب وعلى امكانياته المختلفة^١.

دور التجارة في تأسيس المدينة:

إن أبرز دافع كان وراء بناء مدينة وهران هو الدافع الإقتصادي وذلك راجع إلى موقعها ومكانتها الإستراتيجية بالنسبة لكل مدينة حيوية في المغرب الأوسط وخاصة المدن الداخلية.

إن بروديل يرى أن تأسيس مدينة وهران جاء نتيجة وصول بودة الذهب الى شمال إفريقيا^٢ هذا من جهة ومن جهة أخرى نرى ابن حوقل يقول "في حاضرها دهنقة وحذق وفيهم حمية مع الغرب وهي فرضة الأندلس ، إليها ترد السلع ومنها يحملون الغلال ، والغالب في باديتها البربر"^٣.

النص يعطيها سبب آخر تعلق بإهتمام الأندلسيين بالحصول على الغذاء كأولوية غذائية قبل أي منتج آخر حيث كانت أغلب السفن المتجهة من وهران الى الأندلس محملة بالقمح و الحنطة لتجار أندلسيين احتكروا على ما يبدو تجارة الغذاء فأوضاع الأندلس تميزت بالإضطراب السياسي مما قلل من احتكار الدولة الأموية للحبوب الدولة الأموية للحبوب ضف إلى ذلك دورات القحط و الجفاف و الأوبئة التي كانت تعاني منها الأندلس وقد عرفت بها منذ القديم^٤ لذلك نجد أن التجار الأندلسيين حاولوا إنشاء شبكة طرق تجارية بحرية في العدو المغربية بهدف توسيع التجارة الأندلسية ومن ثم تحقيق تموين دائم من الحبوب^٥.

^١ وردة شرقي: المرجع السابق، ص ٣١.

^٢ وردة شرقي: مدينة وهران في العصر الوسيط (٢٩٠-٩١٦هـ/٩٠٢م-١٥٠٩م) - دراسة مونوغرافية -، ص ٨١.

^٣ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٠.

^٤ وردة شرقي: المرجع السابق، ص ٨١.

^٥ وردة شرقي: المرجع السابق، ص ٨٢.

الفصل الثالث

دور القبيلة والمذهب في نشأة المدينة في المغرب الأوسط

أولاً: دور القبيلة في نشأة المدينة –صنهاجة أنموذجاً–

١ مفهوم مصطلح القبيلة

٢ التعريف بصنهاجة

٣ المدن التي أسسها وعمرها الصنهاجيون

أ: قلعة بني حماد حاضرة الحماديين

ب: بجاية المرسى الذي أضحى مركز الحضارات والعلوم بالمغرب الإسلامي

ج: جزائر بني مزغن المدينة التي أعاد مجدها الصنهاجيون

ثانياً: دور المذهب في نشأة المدينة بالمغرب الأوسط

١ ايكجان منطلق المذهب الشيعي بالمغرب الأوسط

٢ سدراته معقل حضارة الإباضيين

أولاً: دور القبيلة في نشأة المدن - صنهاجة أنموذجاً-

مصطلح القبيلة:

أدى اختلاف سياقات تناول لدى الدراسين في مجال العلوم الإنسانية و الاجتماعية إلى الاختلاف في تحديد مفهوم القبيلة ، هذا المفهوم على رغم اتساعه ، فإنه لا يحظى بالإتفاق على الدلالة و المعنى نفسيهما فكثيراً ما يحدث الخلط بين القبيلة (TRIBU) والإثنية (ETHNIE) ، لقد أدى هذا الخلط إلى تسرب مفهوم القبيلة اليوم إلى الخطاب الإعلامي و السياسي ليدل على أي مجموعة مغلقة و خصوصاً إذا كانت دينية أو حرفية أو طائفية^١.

يقول ابن منظور في لسان العرب: " القبيلة من الناس: من بنو أب واحد - أما القبيلة فمن قبائل العرب و سائرهم من الناس - يقول ابن الكلبي: الشعب أكبر من القبيلة ، ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ قال الزجاج: القبيلة من ولد اسماعيل - اسماعيل - ، عليه السلام ، كالبسط من ولد اسحاق عليه السلام، معنى القبيلة من ولد اسمعيل معنى الجماعة ، يقال لكل جماعة من واحد قبيلة ، ويقال لكل جمع من شيء واحد قبيل..."^٢.

أما عن القبيل فيقول: "والقبيل: الجماعة من الناس يكونون من ثلاثة فصاعداً من قوم شتى ، كالزنج والروم والعرب ، وقد يكونون من نحو واحد ، ربما كان القبيل من أب واحد كالقبيلة"^٣.

الموسوعة العربية الميسرة عرفت القبيلة بأنها: مجموعة من الناس يتكلمون لهجة واحدة ويسكنون اقليماً واحداً مشتركاً يعتبرونه ملكاً خاصاً بهم^٤.

والملاحظ أن التعريفات الحديثة استندت إلى التعريفات العربية للقبيلة والتي تتميز بالدقة في إدراج القبيلة ضمن تصنيفات متدرجة فإن عبد ربه يقول نقلاً عن الكلبي الشعب أكبر من القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة^١.

^١ محمد نجيب بوطالب: سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي ، ص ٥٣.

^٢ ابن منظور: لسان العرب ، ٥٤١/١١ .

^٣ ابن منظور: لسان العرب ، ٥٤٢/١١ .

^٤ الموسوعة العربية الميسرة .

أما ابن خلدون فإنه يحدد القبيلة بكونها جماعة متفرعة عن جد أول ، كما لا تحدد فقط بما يجمع بين أعضائها من روابط الدم ، كما حدد ذلك الأنثروبولوجيون الكلاسيكيون ^٢.

ابن خلدون يؤكد أن النسب في معناه الضيق لا يعدو أن يكون معطى وهمي لا يصمد أمام واقع الإختلاط وعلاقات الجوار والتعايش في المكان ^٣، أما الاطار الحقيقي للقبيلة عند ابن خلدون فهو النسب في معناه الواسع والرمزي وما يمثله من أشكال التحالف والولاء والانتماء ، فإبن خلدون يؤكد على دور المكان أي الأرض الذي يشكل محور إلتحام الجماعة عند قدوم أي خطر خارجي سواء كان نتيجة عصبية أو تدخل سلطة مركزية ^٤.

التعريف بصنهاجة:

يتفق جل النساب على أن البربر جمعهم جنسان هما البرانس و البتر ، فمن البرانس مصمودة التي استوطنت المغرب الأقصى و منها غمارة بالريف و برغواطة و ذكالة و بطون أخرى بالأطلس الكبير منها هرغة و هواة و أوربة و كتامة ، وصنهاجة التي منها بنو زيري و بنو حماد و منهم أيضا ازداجة بنوا حي وهران و زناتة بجبال الأطلس ^٥.

الصنهاجي بضم الصاد المهملة و كسرهما ، و النون الساكنة ، و الهاء المفتوحة ، و في آخرها الجيم ، هذه النسبة إلى "صنهاجة" ، و صنهاجة و كتامة قبيلتان من حمير ، وهما من البربر ، وقيل: بربر : من العمالق ، الإصنهاجة و كتامة ، فإنها من حمير ، و اشتهر بهذه النسبة جماعة كثيرة من المغاربة ^٦.

ابن خلدون و ابن جزم يرجحان بأن صنهاجة قبيلة بربرية برنسية ^٧.

^١ ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد ، شرح وضبط: أحمد أمين وآخرون ، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ٣٣٥/٤ .

^٢ محمد نجيب بوطالب: سسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي ، ص ٥٦ .

^٣ ابن خلدون: المقدمة ، ٢٠٨/١ .

^٤ ابن خلدون: المقدمة ، ٢٠٧/١ ، وما بعدها ، محمد نجيب بوطالب ، المرجع السابق ، ص ٥٦ .

^٥ محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، ٢٠١٠ م ، ص ١٦ .

^٦ ابن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢ هـ): الأنساب ، تقدم و تعليق: عبد الله البارودي ، ط ١ ، بيروت: دار الجنان ، ١٩٨٨ م ، ج ٣ ، ص ٥٦٠ .

^٧ رضا بن النية: صنهاجة المغرب الأوسط - من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر - (دراسة إجتماعية) ، ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري قسنطينة ، ٢٠٠٥ م - ٢٠٠٦ م ، ص ٣١ .

"و أما ذكر نسبهم فإنهم من ولد صنهاجة وهو صناك ، إلا أن العرب عربته فصار صنهاج ، وهو عند نسبة البربر من بطون البرانس من ولد برنس بن بربر ... ، فيما نقل الطبري في تاريخه أنهم صنهاج بن بر بن صوكان بن منصور بن الفند بن أفريقش بن قيس"^١.

مهمت كانت النتيجة الفاصلة في نسبة صنهاجة إلى عرب حمير فإن أعيانها و وجهائها و أمراءها كانوا يصرون على النسب العربي لصنهاجة و لا يرضون عنه بديلا ، فهذا عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شداد حفيد الأمير تميم بن المعز بن باديس في تاريخه المسمى " الجمع و البيان في أخبار المغرب و القيروان" يؤكد أن نسبه و نسب أجداده يتصل بحمير بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن عابر من عرب الجنوب^٢ ، كما افتخر المنصور الزيري بنسبه الحميري في خطابه الذي ألقاه على أعيان صنهاجة بأشير عند توليه الإمارة حيث قال: " إن أبي وجدي كانا يأخذان الناس بالقهر و أنا لأأخذ أحدا إلا بالإحسان و ما أنا في هذا الملك ممن يولي بكتاب ولا أشكر على هذا الملك إلا الله سبحانه و تعالى ، لأنني ورثته عن آبائي و أجدادي و الذين ورثوه عن آبائهم و أجدادهم حمير"^٣.

لقد قدر للصنهاجيين أن يحكموا بلاد المغرب على غرار القبائل الأخرى بعد رحيل الفاطميين إلى مصر ، وتعتبر صنهاجة أوفر قبائل البربر ، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط^٤.

لقد ظل الصنهاجيين إلى غاية القرن ٣ هـ متفرجين على الأحداث منذ قوم الإسلام دون أن يحركوا ساكنا ، لكن مع بروز حدث مهم جدا وهو ذلك الصراع بين الأموية و العلوية ، ومع حاجة الفاطميين الماسة إلى مساعدة وعون قبيلة في ظل هذا الصراع تكون ذات شوكة و منعة تقيها شر خصومها خاصة الزناتيين الطامحة للتوسع ، فلم تجد أحسن من الصنهاجيين و لن تجد أفضل من القائد زيري بن مناد لمهمة كهذه^٥.

^١ ابن خلدون: ديوان العبر ، ٦/٢٠٠ - ٢٠١ .

^٢ رضا بن النية: صنهاجة المغرب الأوسط ، ص ٣٢ .

^٣ المرجع نفسه ، ص ٣٣ .

^٤ عبد الحليم عويس: دولة بني حماد - صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط ٢ ، المنصور: مطابع الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع -

القاهرة: دار الصحوة للنشر و التوزيع ، ١٩٩١ م ، ص ٢١ .

^٥ الطاهر طويل: المدينة الإسلامية في تطورها المغرب الأوسط ، ص ٢٦١ .

فمنذ ذلك أن ظهر العبيديون على مسرح الأحداث و القبائل المغربية في تورة و حراك دائمين ترة راجع لكل قبيلة و مصلحتها ، في خصم ذلك لم يدم موقف الحياد الصنهاجي و سرعان ما دخلت المعترك^١.

يقول ابن الأثير: " أن مناد ابن منقوش كان بقدم ابنه زيري في أيامي ، ولو لم يكن كذلك لما قاد كثير من صنهاجة و أغار بهم و سبي"^٢.

حتى الفاطميين أنفسهم لم يجدوا أفضل من الصنهاجيين في حل المشاكل التي كانت عائقا أمام طموحهم التوسعي في المشرق "وردت على معد- معز- الشيعي النكبتان معا: فساد الأندلسي وخلعه ، وهزيمة زيري وقتله ، فاشتد عيله و أقلقه ، وقلد بلقين العملين معا ، و أنجده الشيعي بالمال و الرجال و أخرجه من المغرب في أول سنة إحدى وستين وثلاثمائة فأوغل في ديار زناتة وقتل منهم ... واستولى على تاهرت والمسيلة وطبنة وباغاي وبجاية وبسكرة وجميع المدن بالمغرب حتى لم يبقى لزنانة في شيء منها أمر ..."^٣.

من خلال النص نلاحظ أن الأحداث تطورت لصالح صنهاجة و اتسع نفوذها ليشمل أغلب جهات المغرب الأوسط ، فأصبحت قوة أهلتها للفر فوق الروابط التاريخية التي كانت بين الكتامين والفاطميين^٤.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل تجاوزه إلى تطبق الصنهاجيين للدعوة الشيعية وتبني المالكية و الاستقلال عندهم عندما استأثروا بالحكم .

^١ محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، ص ٢٤ .

^٢ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ٦٢٣/٨ ، نقلا عن: المرجع السابق ، ص ٢٥ .

^٣ مؤلف مجهول: مفاخر البربر ، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية ، ط ١ ، الرباط: دار أبي الرقاق للطباعة و النشر ، ٢٠٠٥ ، ص ٩٧،٩٨ .

^٤ الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط ، ص ٢٦٢ .

١- قلعة بني حماد:

بعد أن قارب القرن الرابع الهجري على الإنتهاء بعامين كانت قبيلة صنهاجة قد شرعت في بناء إحدى أهم منجزاتها العمرانية والمتمثلة في بناء مدينة القلعة المدينة التي تعتبر من أهم النماذج لمدن المغرب الأوسط المحدث^١.

قلعة بني حماد تقع على منحدر وعر فوق سفوح جبل تقربوست^٢ على الحدود الشمالية لسهل الحضنة وعلى مسافة ٢٦ كلم من المسيلة وبالتحديد ببلدية المعاضيد الحالية ، أي بحوالي ثلاثون كيلومتر من برج بوعريج ، وغير بعيدة عن مدينة برج الغدير التي سبقت بناء القلعة^٣.

واللافت للإنتباه أن جل مدن الزاب الكبير بما فيها الحضنة أنشأت على مسالك تجارة الذهب والرقيق الرابط بين بلاد السودان وإفريقية خلال القرنين ٥/٤هـ - ١١/١٠م على اعتبار أنها مركز رئيسي يعبره مسلكان تجاريان لقوافل الذهب والعبيد^٤ ونجد أن العديد من مدن الزاب أوجدتها الحاجة الأمنية لتأمين هذه المسالك ، إلا أن تأسيس قلعة بني حماد كان له أثره الكبير في زيادة حركية المنطقة^٥.

ويطرح الدكتور الطاهر بونابي إشكالية تأسيس القلعة هل مردها فقط للأهمية التجارية أما أن تأسيسها كان نتيجة تفاعل عناصر القبيلة والمذهب والمصالح وطموح زعماء القبائل^٦.

كان اختطاط المدينة وتأسيسها قد ارتبط بضروف سياسية تميزت بتخلص حماد بن بلكين من وصاية باديس بن منصور^٧ ، ورغم حداثة عهد قبيلة صنهاجة بالملك والترف إلا أن بدايتهم في تأسيس الملك كانت مقترنة بالبناء واختطاط المدن^٨.

^١ الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط ، ص ٢٨١.

^٢ ابن خلدون ، ديوان العبر ، ٦ / ٢٧٧.

^٣ مختار حساني: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية ، ١ / ١٢٩.

^٤ البكري: المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب ، ص ٤٩ ، إسماعيل العربي ، مدن مغربية ، ص ١٦٧.

^٥ الطاهر بونابي: قلعة بني حماد التأسيس والتداعي ، أعمال الملتقى الوطني الأول حول الدولة المركزية في قلعة بني حماد الإشعاع الفكري الثقافي ، حوليات الآداب واللغات ، جامعة المسيلة ، العدد الثالث ديسمبر ، ٢٠١٣ ، ص ٧٢.

^٦ الطاهر بونابي: نفس المرجع ، ص ٧٢ .

^٧ الهادي روجي ادريس: الدولة الصنهاجية ، ٩٨/٢ .

^٨ طاهر طويل: المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

فقد كانت العداوة الناشبة بين حماد و الزيريين الذين كانوا يخافون من اتساع رقعة نفوذ حماد ، كانت من بين الأسباب التي دفعت حماد إلى بناء القلعة لتكون بمثابة حصن منيع له وذلك حفاظا على طموحه المتمثل في إقامة دولة مستقلة عن الزيريين^١ سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة^٢.

ولعل أبرز سبب لبناء القلعة هو تلك الصراعات القبلية التي شهدتها المغرب الأوسط في تلك الفترة خاصة بعد قدوم الفاطميين خاصة الصراع مع الزناتيين الذين كانوا موالين للأمويين للأندلس والذين كانوا يطمحون للتوسع في بلاد المغرب الأوسط^٣ وقد لعب حماد دور بارزا في هذا الصراع.

وقد قامت الدولة المركزية بالقلعة على عصبه قبيلة تلكاة الصنهاجية وقوتها العسكرية الضاربة التي ضمن بها حماد بن بلكين الحماية والتكنل في إقامة الحكم الحمادي بالمعنى المادي والعسكري^٤.

قام حماد ببناء القلعة ، وتشيد سورها بالحجارة ، تتغلله ثلاث أبواب هي باب الجنان باب جراوة باب الأقواص^٥.

نقل إليها حماد بن بلكين أهل المسيلة وأهل حمزة (البويرة) وخرجهما وعمرهما بقبيلة جراوة ، وثم بناءها وتمصرها على رأس المائة الرابعة^٦.

يقول ابن خلدون واصفا القلعة: " وشيد من بنيانها وأسوارها واستكثر فيها من المساجد ، ورحل إليها من العثور والقاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها"^٧.

وقد كان هناك سببان وجيهان رفع من مكانة القلعة وجعلها في مصاف المدن الكبرى في المغرب الإسلامي تعلق الأول بإفريقية وماجورها فيما يعود السبب الثاني إلى أوضاع الأندلس عرفت القلعة هجرة كبيرة من هذين

^١ مختار حساني: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية ، ١٣٠/١ .

^٢ ابن خلدون: ديوان العبر ، ٢٢٧/٦ .

^٣ مختار حساني: الصراع بين الأمويين والفاطميين على السيادة في المغرب الإسلامي خلال القرن ١٠هـ/١٠م ، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر ، ١٩٧٨ ، ابن خلدون: ديوان العبر ، ٢١٥/٦ وما بعدها .

^٤ الطاهر بونابي: قلعة بني حماد التأسيس والتداعي ، ص ٧٣ .

^٥ عبد العزيز فيلاي: قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال ق ١١هـ/١١م ، حوليات الآداب.... ص ١٩ ، عبد عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ص ٩٤ .

^٦ ابن خلدون: ديوان العبر ، ٢٢٧/٦ .

^٧ ابن خلدون: ديوان العبر ، ٢٢٧/٦ .

الرافدين فقد انتقل إليها من القيروان أعداد كبيرة من التجار ورؤوس الأموال والحرف وطلاب العلم أثناء الحرب التي كانت بين الحماديين والبادسيين،^١ وبعدها الزحف الهلالي على القيروان فلم يجدوا بديلا أمنا إلا مدينة القلعة " انتقل إليها أكثر أهل إفريقية ، وهي اليوم مقصد التجار ، وبها تحل الرجال"^٢.

كما وفد عليها مهاجرين من الأندلس فارين من الحرب الأهلية بقرطبة والمعروفة ب"الفتنة البربرية"^٣.

تطورت المدينة بسرعة ، بفضل هذه العناصر الوافدة بما تحمله من علم وثقافة ، وحرف وصناعة ومال^٤.

أضحت من أكبر البلاد قطرا ومسكن ، وأعمرها فواكه وخصبا ، وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة وسمينة وفلاحتها إذا أكثرت أغنت وإذا كفت ، فأهلها أبد الدهر شباب ، وأحوالهم صالحة^٥.

استفادت قلعة بني حماد من النشاط الإقتصادي والرخاء الذي عاشه أهلها خلال القرن ٥ هـ ، بحيث جاء العلماء والأدباء وطلاب العلم والمهندسون والأطباء والحرفيون من مختلف الأوطان مع المهاجرين من المدن التي سبقتها في الميدان العلمي والثقافي مثل المسيلة وطبنة وبسكرة وتيهرت والقيروان وصقلية والأندلس^٦.

ولعل اهتمام صنهاجة بالجانب العلمي واندماجها في الوسط الثقافي وتشجيعها له كان له دوره في نمو وتطور القلعة^٧.

وقد اشتهرت القلعة بالعديد من علمائها أمثال أبو الفضل يوسف بن محمد ولد سنة ٤٣٣ هـ أتم تعليمه وتحصيله بمدينة القيروان واشتهر بابن النحوي التوزري القلعي نسبة إلى قلعة بني حماد وهناك جلس للتدريس والتعليم ، كان من كبار العلماء الذين كرسوا حياتهم لنشر العلم والمعرفة وتضلع في أصول الدين والفقه واللغة وغيرها^٨.

^١ عبد العزيز فيلاي: قلعة بني حماد الحاضرة الإقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال ق ٥هـ / ١١م، الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط ، ص ٢٨٥ ، مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، ٥٥/٣-٥٦.

^٢ البكري: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ، ص ١٢٣ .

^٣ ابن خلدون: ديوان العبر ، ٢٢٧/٦-٢٢٨ .

^٤ عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق ، ص ٢٠.

^٥ الإدريسي: نزهة المشتاق في اخراق الآفاق ، ص ١٥٦ ، إسماعيل عربي ، مدن مغربية ، ص ١٦٧-١٦٨ .

^٦ عبد العزيز فيلاي: قلعة بني حماد الحاضرة الإقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال ق ٥هـ / ١١م، ص ٢٢.

^٧ عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق ، ص ٢٣.

^٨ مختار حساني: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية ، ١٤٩/١.

سقوط قلعة بني حماد :

إن سقوط القلعة الحمادية لم يكن نتيجة لهزيمة عسكرية وإنما كان أثرا من آثار الخراب الذي نشره العرب الهلاليون حولها^١ ، فقد حلت حشود العربان بضواحي القلعة الحمادية وحولوا ضياعها وبساتينها إلى مراعي لإبلهم^٢ ، قطعوا مجار المياه عن القلعة الحمادية ، كما أنهم قطعوا عنها الطرق التجارية ، وبالتالي تعرضت موارد موارد تموين أسواقها للنفاذ^٣.

وقد تدهورت وضعية القلعة بصورة أكثر في الربع الأول من القرن ١٢هـ/١٢م بعد إقدام العائلة الحاكمة على تعزيز مكانة بجاية المنفتحة على فضاء بحري متوسطي على حساب العاصمة الأولى المهددة باستمرار هجمات البدو الهلاليين^٤.

٢- مدينة بجاية:

بجاية مدينة قديمة بناها الرومان فوق سفح جبل شديد الارتفاع على ساحل البحر المتوسط ، كانت من بين المزدهرة في العهد الروماني وكانت تعرف بمدينة صلداي وقد خربت من قبل القوطيين الوندال^٥ خلال حملتهم على المغرب^٦ ويؤكد ذلك الحسن الوزان بقوله: "بجاية مدينة عريقة بناها الرومان-على ما يراه بعضهم- في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط ، تحيط بها أسوار عالية متينة"^٧. بقت بجاية مخربة إلى أن أعاد بناها من جديد الناصر بن علناس بن حماد بن زيري الصنهاجي في حدود سنة ٤٥٧هـ/١٠٧٦م وسماها الناصرية^٨.

^١ إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٥ .

^٢ محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، ص ١٦٩-١٧٠ .

^٣ إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، ص ١٣٤ .

^٤ علاوة عمارة: الحفريات الأثرية بالحاضرة الحمادية الأولى بين الذاكرة والتاريخ ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، ٩٤ ، ص ٣٣ .

^٥ لسان الدين خطيب: تاريخ المغرب العربي- القسم ثالث من كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق: مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، الدار البيضاء، دار الكتاب ، ١٩٦٤ ، ص ٧٦ .

^٦ حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية ، ٣/٢ .

^٧ حسن الوزان: وصف إفريقيا ، ٥٠/٢ .

^٨ لسان الدين ابن الخطيب: المصدر السابق ، ص ٧٦ على الهامش .

مدلول الاسم:

لقد تغير اسم المدينة من "صلداي" إلى "بجاية" ومن بين المؤرخين الذين ذكروه بإسم بجاية ، ابن خلدون والذي أعطى تفسيراً لهذا الإسم^١ حيث قال "وفي سنة ستين وأربعمئة افتتح جبل بجاية ، وكان له قبيل من البربر يسمون بهذا الإسم ، إلا أن الكاف فيهم بلغتهم ليست كاف بل هي بين الجيم والكاف ، وعلى هذا القبيل يأتون لهذا العهد أوزعا في البربر ، فلما افتتح هذا الجبل اختط به المدينة وسموها الناصرية وتسمى عند الناس بإسم القبيلة وهي بجاية ..."^٢.

ونلاحظ أن الحسن بن الفكون القسنطيني مرة ذكرها بالناصرية وذكرها مرات عديدة بإسم بجاية.

نجد قوله:

دع العراق وبغداد وشامهما فالناصرية ما إن مثلها بلد
بر وبحر ومرج للعيون به مسارح بأن عنها المم والنكد
حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع حيث العنى والمنى والعيشة الرغد.

وقال مرة أخرى:

وكم أورت ضباء بني ورار أورا الشوق بالريف الشهي
فجئت بجاية فجعلت بدورا يضيق بوصفها حق الرؤي
وفي أرض الجزائر هام قلبي بمعسول المرافش كوثر^٣

أن أقدم ذكر مدينة بجاية هو نص ابن حوقل في كتابه صورة الأرض بقوله " ومنه إلى بجاية (مرسى) ومنه إلى مرسى بني جناد ومنه إلى مرسى الدجاج...."^٤ . وهذا يدل على أن المدينة في هذه الفترة قد فقدت أهميتها التجارية القديمة .

^١ طاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط ، ص ٢٩٧ ، مختار حساني: المرجع السابق ، ٤/٢ .

^٢ ابن خلدون: ديوان العبر ، ٢٣١/٦ ، ٢٣٢ ، المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن ، ص ٥٠٤ .

^٣ المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن ، ص ٥٠٤ .

^٤ ابن حوقل: صورة الأرض ، ص ٧٧ .

كما نجد البكري يقول: "ثم مرسى مدينة بجاية آزلية أهلة عامرة لأهل الأندلس..."^١ هذا يدل على أن المدينة قبل تأسيسها كانت عبارة عن مرفأ تقصده السفن الأندلسية حسب البكري الذي لم يزر بجاية ولكن معلوماته أخذها عن الوراق الذي عاش في القرن ٤هـ/١٠م^٢، لكن في نفس السنة التي أنهى فيها البكري تأليفه شهدت هذه البلدة المغمورة انبعاث حياة جديدة بإختيار موقعها من طرف أمير قلعة بني حماد الناصر لتأسيس مدينته الذي سيغير مصير المدينة المتواضعة إلى أمد بعيد^٣.

ولعلنا نراجع المدينة يعود إلى أن المدن الساحلية كانت تشكل خطرا أن التواجد البنزطي كان قريبا منها ، ناهيك عن الأخطار الأخرى التي جعلت المسلمون يتفادون الإستقرار بالمناطق الساحلية إلى غاية طردهم للبيزنطيين^٤.

عوامل بناءها:

لقد كان اختلاف بين المؤرخين حول أسباب تأسيس الحماديين لمدينة بجاية ونقل العاصمة لها وتخليهم عن القلعة ، لكن الملاحظ أن جل الأسباب لا تخرج عن سببين رئيسيين هما جحافيل الأعراب الهلالية وموقعة سببية، فبعد رحيل الفاطميين إلى مصر استخلفوا ببلاد المغرب بني زيري ولم يمضي وقت حتى استقلوا عن حكم الفاطميين وأعلنوا قيام دولتهم من جهة أخرى أعلن بني عمومهم الحماديين عن قيام دولتهم مستقلين عن الزيريين واتخذوا القلعة عاصمة لهم^٥، في هذه الأثناء قامت الدولة الفاطمية ببعث جعافيل القبائل الهلالية إلى بلاد المغرب انتقاما من الزيريين وقد كان لها آثار سلبية ليس فقط على إفريقية بل على سائر بلاد المغرب بحيث شهدت تخريبهم للعديد من المناطق والمدن والدول ومن بينها دولة بني حماد^٦.

^١ البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٨٢.

^٢ مختار حساني: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية ، ٤/٢ .

^٣ روباك برونشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣م إلى نهاية القرن ١٥م ، ترجمة: حمادي الساحلي ، ط ١ ، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٨ ، ٤١٠/١ .

^٤ علاوة عمارة: "التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط" ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد ٢٦ ، قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٣٧ .

^٥ لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الإحتلال من ملوك الإسلام -تاريخ إسبانيا الإسلامية - ، تحقيق: ليفي برونفسال ، ط ٢ ، بيروت: دار المكشوف ، ١٩٥٦ ، ص ٢٢٦ .

^٦ شهاب الدين النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق: عبد الحميد الرحيني ، بيروت: دار الكتب العلمية ، د.ت ، ١٢٩/٢٤ وما بعدها.

ويؤكد الإدريسي بقوله " وأما مدينة بجاية في ذاتها فإنها عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد " ^١ فخاف الناصر بن علناس على دولته لذلك رأى بناء مدينة حصينة بعيدا عن أعين الهلاليين ^٢.

كما نجد صاحب كتاب الإستبصار يقول " وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة ، وكان سبب بناءها ، أن العرب لما دخلوا إفريقية وأفسدوا القيروان وأكثر مدن إفريقية فلما نجا المنصور إلى القلعة نزلت عليه جيوش العرب وضيقوا عليه ببلاده فكان يصانعهم حتى ضاق ذرعا بهم وكان لا يقدر على التصرف في بلاده فطلب موضعا يبني فيه مدينة ولا يلحقه فيها العرب فدل على موضع بجاية وكان مرسى... " ^٣.

لم تكن القبائل الهلالية المصدر الوحيد الذي أثار قلق الدولة الحمادية بحيث نجد أن بني عمومتهم الزيريين كانوا شوكة لهذا والدليل هو قيام العديد من المعارك بينهما ^٤ ، وأهم هذه المعارك هي موقعه سببيه ^٥ غربي القيروان التي هزم فيها الناصر بن علناس الحمادي سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م ، ونتيجة لخيانة القبائل العربية فكر في بناء بجاية: ومن بين الذين يؤيدون هذه الرواية ابن الأثير ^٦ والنويري ^٧.

لكن المؤرخ علاوة يؤكد أن بجاية بنيت في إطار استراتيجية مزدوجة تتمثل في محاولة السيطرة على التجارة البحرية التي أصبحت مصدر للربح وللتحصن من خطر هجمات البدو الهلاليين بعد انهيار الجيش الحمادي في معركة سببية سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م ^٨.

فأصبحت من أكبر المدن الإسلامية الخاصة بمختلف العلوم والعلماء حيث توافد عليها رجال العلم من شتى الأماكن ^١ ، إذ شهدت بجاية نهضة علمية وفكرية وثقافية هائلة خلال العصر الحمادي والعصور التي تلتها إلى مطلع القرن السادس عشر الميلادي ^٢.

^١ مختار حساني: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية ، ٥/٢ .

^٢ عبد الحليم عويس: دولة بني حماد ، ص ١٠٠ .

^٣ مؤلف مجهول: كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

^٤ عماد الدين ابن كثير: البداية والنهاية ، تحقيق: عبد الله بن محسن التركي ، ط ١ ، الجيزة بمصر: دار هجر ، ١٩٩٨ ، ٥/١٦ .

^٥ موقعه سببية: تعود أسباب هذه الواقعة إلى رغبة الناصر بن خلع الطاعة عن الزيريين فغضب تميم بن المعز لذلك: نجر كل واحد منهما جيش هزم الناصر بن علناس. أنظر: النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٢٢/٢٤ .

^٦ أبي الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير: الكامل في التاريخ - من سنة ٣٨٩هـ لغاية سنة ٤٨٨هـ -، راجعه: محمد يوسف الدقاق ، ط ١ ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧ ، مجلد ٨ ، ص ٤٧٣، ٣٧٤ .

^٧ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٢٣، ١٢٠/٢٤ .

^٨ علاوة عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، ٢٠٠٨ ، ص ٨٩ .

وهذا لاحتوائها على عدد من المراكز العلمية كالمساجد والمدارس بها العلوم^٣. إضافة إلى زوايا صوفية عريقة فنبغ بها علماء أجلاء كان لهم رأي في الشريعة الإسلامية وشعراء فحول وحكماء متطوعون في الفلسفة والحكمة وعلم التوحيد والمنطق ولغويين مبرزين ومحدثون أمناء ومدققون ومحققون في الرواية والسند ومتطوعون في القصة ورياضيون مبتكرون وطلاب علم ومعرفة^٤.

إذ يقول حسن الوزان^٥: "...وفيها جوامع كافية ومدارس يكثُر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم بالإضافة إلى زوايا المتصوفة وحمامات وفنادق ومارستانات كلها صروح مشيدة حسنة البناء وأسواقها كذلك جميلة منسقة وأحسن تنسيق". أما ابن بطوطة^٦ يقول: "... وكانت بجاية مدينة جليلة ومركز علم وعلماء". وذكر ياقوت الحموي^٧ بأنه في العوام ، والغومي في بجاية كانوا يحفظون عن ظهر قلب كتب البخاري والمدونة ، والموطأ والتلقين ، ويحشرونها للناس من ذاكرتهم.....".

٢- الجزائر:

إن كلمة الجزائر اسم لمدينة على ساحل البحر من أرض الشمال الإفريقي على خط عرض ٤٧ شمالا وخط طول ٤٤ شرقا، وكانت قبل ذلك في عهدها السحيق قطعة أرض لا شأن لها وتسمى بلغة القوم "أرغل" ومعناه "المكان المستور العميق". ولم يعلم أكثر من ذلك إلى نحو ما قبل بثلاثة آلاف سنة، وهو العصر الذي وطئت فيه أقدام الفينيقيين أرض هذا الوطن وأسسوا مراسيهم فظهر هذا المكان تحت اسم "أيكوسيم"^٨.

^١ ابن أحمد الصالح: بجاية في العهد الحفصي (٥٦٢٨هـ-٧٤٨هـ/١٢٣٠-١٣٤٧م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة قسنطينة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ٢٧.

^٢ يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر القديمة والوسيط والجزائر الحديثة)، دار البصائر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، ج ١، ص ٢٧.

^٣ مرمول كرخال: إفريقيا، ترجمة أحمد التوفيق وأحمد سلجون، الرباط: دار النشر المعرفة: ١٩٨٨، ج ٢، ص ٣٧٧.

^٤ يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط ١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥م، ج ٢، ص ١٤٦. للمزيد حول علماء بجاية أنظر: أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، ط ٢، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩.

^٥ حسن الوزان: وصف إفريقيا، ٥٠/٢ وما بعدها.

^٦ ابن بطوطة: الرحلة، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة: المعارف الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص ٣٥.

^٧ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١١٣/٣.

^٨ عبد الرحمن الجليلي: تاريخ المدن الثلاث - الجزائر، المدينة، مليانة في موسمها الألفي ٣٦٠هـ-١٣٧٠هـ/١٩٧٠م-١٩٧١م-، ط ١، الجزائر: شركة دار الأمة، ٢٠٠٧، ص ٨.

أما في الفترة الوسيطة فقد ظهرت بإسم " جزائر بني مزغنة" في النصوص الجغرافية والتاريخية وذلك في النص الثاني من القرن ٤هـ/ ١٠م وأقدم نص لها هو نص ابن حوقل^١ الذي يقول عنها: "جزائر بني مزغناي مدينة عليها سور على سيف البحر أيضا، وفيها أسواق كثيرة، ولها عيون على البحر طيبة وشربهم منها، ولها بادية كبيرة وجبال فيها من البربر كثرة. وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم سائمة في الجبال، ولهم من العسل ما يجهز عنهم والسمن والتين ما يجهز ويحلب إلى القيروان وغيرها، ولها جزيرة في البحر على رمية سهم منها تحاذيها فإذا نزل بهم عدو لجؤوا إليها فكانوا في منعة وأمن ممن يحذرونه ويخافونه"^٢. أما سبب تسميتها بالجزائر بالجزائر يعود لما امتازت به من ظهور مجموعة من الصخور المنبسطة الشبيهة بالحزر الصغير على سطح البحر، منتشرة بالقرب من هذه المدينة^٣.

وهذه ممارسة لغوية معتادة في التراث العربي لإستعمال الجزر كنقاط لتحديد الأماكن انطلاقا من البحر، ومن أسماء ذلك الجزائر الشرقية (البليار)، وجزائر بحر صقلية، جزائر ملوية، والجزر الجوفية^٤ والملاحظ أن هناك من الجغرافيين العرب كالمقدسي والاسطخري ذكرا المدينة بصيغة الافراد وكلاهما سماها "جزيرة"^٥.

فالمقدسي يقول: " وجزيرة بني زغناية على ساحل البحر مسورة يعبر منها إلى الأندلس ولها عيون"^٦.

ونجد أن أغلبهم ذكرها بصيغة الجمع كأبن حوقل^٧ والبكري، والشريف الإدريسي، وابن خلدون^٨، وابن عذارى، ياقوت الحموي^٩، أبي الغدا^{١٠}. كانت المدينة قبل إعادة بناءها كانت شوقا مزدهرة لقبائل المنطقة التي التي تمارس الزراعة^{١١}، أما عن اختطاطها فجعل المؤرخين يتفقون على أن الذي اختطها هو بلكين بن زيري حيث يورد ابن خلدون ذلك في ديوانه "ثم اختط ابنه بلكين بأمره وعلى عهده مدينة الجزائر المنسوبة لبني

^١ علاوة عمارة وزينب موساوي: "مدينة الجزائر في العصر الوسيط"، مجلة إنسانيات للدراسة الأنثروبولوجية، عدد ٤٤ و٤٥، ٢٠٠٩، ص ٨.

^٢ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٧٨.٧٧.

^٣ عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص ١١.

^٤ و ١٠.

^٥ عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ المدن الثلاث، ص ١١.

^٦ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٣٨.

^٧ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٧٧.

^٨ ابن خلدون: ديوان العبر، ٢٠٣/٦.

^٩ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١٣٢/٢.

^{١٠} أبي الغدا: تقويم البلدان، ص ١٣٧.

^{١١} الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، ص ٢٧٩.

مزغنة بساحل البحر، ومدينة مليانة بالعدوة الشرقية من الشلف، ومدينة لمدونة، وهم بطن من بطون صنهاجة وهذه المدن اهذا العهد من أعظم مدن المغرب الأوسط^١. كما يؤكد ذلك ابن الخطيب بأنها بعد تخريبها أصبحت مستقرا لقبيلة بربرية تدعى بني مزغنة وفي القرن ١٠هـ/١٠م أسس بلكين مدينة هناك دعاها جزائر بني مزغنة^٢.

إن الظهور الأول لمدينة الجزائر جاء في مرحلة تاريخية مهمة تميزت بكثافة النشاط الملاحى والتجاري لمدن الساحل خصوصا بعد نجاح السياسة الأموية في الأندلس في خلق فضاء تجاري في الحوض الغربى للبحر المتوسط بداية من نهاية ق ٨هـ/٨م عن طريق تأسيس مجموعة من المدن والمراسي من طرف البحارة الأندلسيين، وقد اكتسب المدينة مكانة مهمة على الساحة المغربية بسبب استقرار الأوضاع الأمنية بها و وقوعها على محورين تجاريين هامين هما الطريق التجارى الرابط بين المرية والإسكندرية والطريق البرى الساحلى الرابط بين بلاد المغرب الأقصى والمشرق^٣.

ما يمكن ملاحظته أن المدن الصنهاجية وان كانت منطلقاتها وبداياتها جبلية في معظمها فجميعها بني في أسفل الجبل أو في سفحة وهذا لضرورات دفاعية بالأساس لكن بجاية وبدرجة أقل جزائر بني مزغنة مكنتها من الربط بين دور الجبل وخاصة البحر، وهو ما سيمكنها من أن تلعب دورا استثنائيا في تاريخ المغرب الأوسط وعلاقته مع الشرق والصفة الشمالية من البحر المتوسط^٤.

ثانيا: دور المذهب في نشأة المدن:

١- إيكجان منطلق المذهب الشيعي بالمغرب الإسلامي:

النشأة والتأسيس:

وقد إختار أبو عبد الله الشيعي المدينة لخصائنها ولموقعها في وسط قبائل كتامة، حيث تقع إيكجان وهي جبل بين سطيف وقسنطينة فيه قبائل كتامة وبه حصن حصين ومقل منيع كان قبل هذا من أعمال بني حماد،

^١ ابن خلدون: ديوان العبر، ٦/٢٠٤.

^٢ ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط-أعمال الأعمال-، ص ٦٤.

^٣ علاوة عمارة وزينب موساوي: "مدينة الجزائر في العصر الوسيط"، ص ٢٣.

^٤ الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، ص ٣٠٤.

وتمتد عمارة بهذه الأرض القل وبونة، وفيهم كرم وبذل طعام لقاصدهم وهم أكرم الرجال للأضياف حتى إستسهلوا مع ذلك بذل أولادهم فلا يرون بذلك عارا^١. إذا وصل كرم الكاتمين لدرجة يعطون أولادهم وهم أغلى ما يملكون ولا يعتبرون في ذلك أنه مناف للعادات والتقاليد وأهل المغرب مشهورون بالجوهر والكرم .

إرتبط ظهور هذه المدينة بظهور أبي عبد الله الشيعي بكنامة والتي إستقر بها وجعل منها أرض هجرة لكل من له تشيع في إفريقية والمغرب وكان سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م) ، وبذلك كانت تشكل أول محاولة لتأسيس المذهب الإسماعيلي ومحاولة نشره في إقليم كنامة^٢.

وقد جاءت عند ياقوت الحموي بإسم إنكجان حيث يقول: "إنكجان: بالكسر ثم السكون وكسر الكاف وجيم وألف ونون ناحية بالمغرب من بلاد البربر، ثم من بلاد كنامة منهم كان أكثر مقام أبي عبد الله الشيعي بها، ويسمى دار الهجرة وسمعت بعضهم يقول إيكجان بالياء^٣. فكانت المدينة إذا محل عبور للفاطميين وجعلوها معسكر لنشر دعوتهم وقد تعددت التسميات فيها .

ومعنى الكلمة في اللهجة البربرية "الكلاب" إذ هي جمع لكلمة أقجون عند البربر فيكون معنى الإسم "خربة الكلاب" . قام أبو عبد الله الشيعي بأول مهمة قدم من أجلها وهي البناء فشرع ببناء موضع إيكجان على مقربة من مدينة قسنطينة مدينة سماها دار الهجرة^٤.

ويتحدث المقرئ عن موضع بجبل إيكجان يسمى فج الأخيار وهو فرجية حاليا فيقول: " سار أبو عبد الله الشيعي إلى جبل يقال له إيكجان وفيه فج الأخيار وماسمي إلا بكم "أي أن سكان الجبل كانوا يقومون بفعل الخير ولهذا سمي الموضع نسبة لذلك ويكمل المقرئ بقوله: "... ولقد جاء في الآثار للمهدي هجرة تنبأ عن الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان قوم إسمهم مشق من الكتمان وبخروجكم في هذا الفج سمي فج الأخيار^٥ . ويقصد هنا أهل المغرب فقد ذكر الرسول أن أهل المغرب سينصرون للإسلام والمسلمين في آخر الزمان .

^١ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٧٢، ٧١ .

^٢ الطاهر طویل: المدينة الإسلامية...، ص ٢٢٩ .

^٣ ياقوت الحموي: (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، مج ٢، بيروت: دار صادر ١/٢٧٣ .

^٤ طاهر طویل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب ، ص ٢٣٠ .

^٥ المقرئ: تقي الدين أحمد بن علي، إعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ١/ ٥٧، ٥٦ .

فعندما إتجه أبو عبد الله الشيعي إلى إيكجان وفيه فج الأخيار قال هناك: هذا فج الأخيار وماسمي ألا بكم. وإتخذ أبو عبد الله الشيعي دار هجرة في فج الأخيار وهي إيكجان فأصبحت مركز حركته ومجمع أنصاره من البربر. فقد جعل من دار الهجرة إيكجان مركز ليجمع حوله الأنصار من البربر وخاصة من قبيلة كتامة^١. فشكلت المدينة بالتالي النواة الأولى للمؤسسة العسكرية الفاطمية ببلاد المغرب، فأرضها جبلية وعرة، تصلح للعمل الدعوي السري، كما تصلح للعمل العسكري، كما أن وقوعها على طرف بلاد إفريقية المستهدف الأول في العمل العسكري الفاطمي لأنها ولاية عباسية^٢.

وقد إستقر بها الداعي الشيعي لوعورتها وحصانتها طبيعيا حيث لا تستدعي تحصين آخر .

وقد أختلف في تسمية المدينة فهناك من يطلق عليها إسم إنكجان وإيجان وسمها أحد المؤلفين المحدثين بإسم تزجان وقال بأنها محل إجتماع^٣.

لقد مثل استقرار عبيد الله الشيعي بإيكجان المرحلة الأولى والحاسمة من تاريخ الدولة العبيدية، وكان أول عمل قام به هو بناء القصر والمسجد^٤ " فرغبا إليه مع جماعة من بني سكتان أن يقيم بإيكجان فأجابهم إلى ذلك، وإبتنى به قصرا، وارتحل الناس إليه وجعله دار هجرته وقرار أهل دعوته"^٥.

والملاحظ من النص أن نواة المدينة ومركزها بدأ من المسجد وبجواره قصر الداعي وتكون إيكجان بذلك قد جمعت بين الهدف الدعوي والسياسي معا، كما يظهر دور المسجد الذي كان في العصر الوسيط مركز للحياة الفكرية والسياسية فكان فعلا للمذاهب الدينية قواعد وإمتدادات سياسية وقد استعمله عبد الله كمنبر ومنصة للنقاشات^٦ وهذا يؤكد القاضي النعمان: " فأقبل الناس إليه من كل ناحية وتسامعوا به، فكان يجلس لهم ويحدثهم بظاهر فضائل علي بن أبي طالب وعلى الأئمة من ولده عليهم السلام"^٧.

^١ علي حسني الخربوطلي: أبو عبد الله الشيعي، المطبعة الفنية المحدث، ١٩٧٢، ص ٣٩، ٣٨.

^٢ طاهر طويل: المدينة الإسلامية...، ص ٢٣٠.

^٣ مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، الجزائر: ديوان المطبوعات، ١٩٨٣، ص ٤٠.

^٤ طاهر طويل: المرجع السابق، ص ٢٣١.

^٥ الداعي إدريسي عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص ١١٣.

^٦ الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، ص ٢٣٣، ٢٣٢.

^٧ القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص ٧٣.

٢- سدراتة معقل وحضارة الإباضيين:

إن الحقيقة التي لا جدال فيها أن المذهب الإباضي وجد مقاومة عنيفة ومطاردة دائمة من الدولة العبيدية التي أسسها عبيد الله الشيعي في المغرب سنة ٢٩٦ هـ ، كما هو واضح فالدولة العبيدية تناقض كل التناقض المذهب الإباضي في مسألة الحكم، التي تجعل الناس سواية في ذلك، عكس العبيديون الذين جعلت الحكم قائما على الإمام المعصوم الذي رفع إلى درجة الألوهية^١. ففي سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٨ م سمع الإمام يعقوب بن أفلح بوصول الجيش الفاطمي إلى تيهرت فجمع ما بقي من أتباعه وخرج من عاصمته وسار نحو الجنوب وعند وصوله إلى ورجلان^٢ وعلى مسافة ١٤ كلم جنوبي المدينة إستقر وأسس مدينته التي أطلق عليها اسم سدراتي وذلك كان هروبا من مظاهر الظلم والإستبداد^٣.

تم إكتشاف المدينة سنة ١٩٥١، حيث تقع إلى جنوب الغربي لورقلة وسدراتة اسم القبيلة بربرية من بطون لواتة وهي سدراتة بن نيطط بن لو . وقد وقع الباحثون أمام إشكالية فيما يتعلق بالمدينة خاصة تاريخ بناءها ونسبها فسدراتة مثل ورجلان التي نسبت إلى بني وركلان وقد إختلف المؤرخون في تاريخ التأسيس فحسب مانقل حساني مختار من الأساتذ مزهود أنها أسست منذ ١٠١ هـ / ٧٢٠ هـ وبعض المصادر الإباضية تذكر أن المدينة كانت عامرة في هذا التاريخ وحتى وحتى الباحثة السوسرية التي قامت بالحفريات على هذه المدينة تتجه لنفس الإستنتاج، حيث ذكرت بأن الإباضيين لم يكن لهم الوقت الكافي لتأسيس مدينة جديدة بعد سقوط تيهرت والأرجح أنهم استوطنوا المدينة وطوروا بنياها^٤، ففي هذا الموقع الحصين والمتميز بوفرة مياهه، وجدت تلك الجماعة المكان الملائم بها لتحمي نفسها ومذهبها ولو لفترة قصيرة من الزمن، إذا ما لبثت أن هاجرت عناصر منهم مدينة سدراتي إلى مكان آخر يبدو أشد مناعة وأكثر أمانا من الأول وهو ما يعرف بوادي ميزاب أو مدن الشبكة حيث تأسست مدن عديدة منها العطف و بونورة وبني يزقن وغرداية^٥.

^١ واد ميزاب، ص ٤٧.

^٢ ورجلان: لديها أسماء متعددة عند الجغرافيين واركلان، وارجلن، ورجلن، وارقلان، ابن خلدون سماها وركلا نسبة إلى قبيلة "بنو وركلا" وهي بطن من بطون زناتة وهم من ولد فرني بن جانا، هذه القبيلة هي التي أسست أهم مدن المغرب الأوسط الصحراوية على مستوى منطقة شكلت نقطة اتصال بين منطقة الصحراء والساحل، انظر: طاهر طويل: المدينة الإسلامية ...، ص ٣٤٧.

^٣ رشيد بورويبة: "الفن الرسمي بتيهت"، مجلة الأصالة، مج: ١٦، تلمسان: وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ٢٠١١، ص ١٨٨.

^٤ حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ٢٥٥/٥.

^٥ علي حملاوي: "أثار الدولة الرسمية بالجزائر مدينة سدراتة"، مجلة العربي الثقافية، ع ٥١، الكويت، وزارة الثقافة، ديسمبر ٢٠٠١، ص ١٠.

إن العديد من الدراسات بينت أن سدراتة قد عرفت حضارة متطورة من خلال قنوات الري. التي تدل دلالة قاطعة على معرفة هندسية الري^١ ويقول عنها عبد الرحمن الجيلالي: " سدراتة المعروفة عن البربر بأسدراتن ذات المدينة العظيمة أنشأوا بها قصورهم البديعة والمنازل الرفيعة وأقاموا بها البساتين والمزارع والمنشآت الضخمة ونشروا فيها من الرفاهية والحضارة ما أعجب منه العلماء اليوم"^٢.

لما هل القرن ٧هـ بدأت جيوش المرابطين تغير على هذه المدينة وتتم القضاء عليها بزعماء على بن غانية الذي خربها وقضى على حضارتها أضف إلى هذا أن العوامل الجغرافية قد جعلت الإباضية لا يرغبون الاستقرار فيها لاسيما الجفاف الحاد الذي ضرب أوتاده عدة سنوات في تلك المنطقة^٣.

^١ : واد ميزاب، ص ٧٠.

^٢ عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ١٧٦/٢.

^٣ : وادي ميزاب، ص ٥٩، علي حملاوي: المرجع السابق، ص ١٥.

الفتى

إن دراسة المدينة الإسلامية في بلاد المغرب الأوسط تحتاج إلى تضافر الكثير من الجهود فقد مازلت إلى الحد الآن يكتنفها الغموض، فنحن مازلنا بحاجة إلى استنطاق العديد من النصوص على تنوع مشاربها سواء التاريخية، الجغرافية، الرحلات، النوازل، التراجم، ... فكل صنف يعطينا قطعة من القطع التي تشكل صورة المدينة الحقيقية بالمغرب الأوسط، لأن الصورة مازلت ضبابية وذلك راجع إلى أولا إلى خصوصية المغرب الأوسط وبالتالي لا يمكن إسقاط نتائج وصلت إليها دراسات أجريت على المغربين الأقصى و الأئى أو في بلاد المشرق الإسلامي، ومازاد الطين بلة هو أن منطلقات دراستها كانت استشراقية حملت في طياتها العديد من المغلطات التي مازالت مرسخة إلى حد الآن، لكن هذا لا يعني التحامل على جل الدراسات الإستشراقية لأن هناك منها من عرجت على أمور دفينية نبشها وتنقيها وصل بنا إلى فهم العديد من الحقائق وتحليلها

إن من جملة العوامل التي أثرت على نشأة المدن بالمغرب الأوسط هي خصوصية موقعه الإستراتيجي بالنسبة لبلاد المغرب الإسلامي وبلاد السودان جعلت الكيانات السياسية التي تطمح لإقامة مجد لها ببلاد المغرب تسارع إلى إقامة مجموعة من المدن للتحصن والتوسع ولأجل النفوذ والمال خاصة ما تعلق ببلاد السودان، وقد خلصت انطلاقا من هذا إلى أن أبرز عاملين متحكمين في نشأة المدن هما العامل العسكري والعامل التجاري وكلاهما كان يحدث ضمن حراك سياسي يسيرهما، ونلاحظ أن ذلك برز بشكل أكبر في فترة النزاعات الأموية الفاطمية من أجل السيادة في المغرب الإسلامي ومن أجل السيطرة على المسالك التجارية الحساسة المرتبطة ببلاد السودان - الذهب -

وقد كانت الأمثلة متعددة على ذلك كالمسيلة التي شيدها الفاطميون لهدفين رئيسيين أولهما تمثل في إحكام السيطرة على مسلك تجاري مهم، في حين تمثل الهدف الثاني في مراقبة الأعداء وإضعافهم.

في حين نجد الأمويين سارعوا إلى إنشاء مدن على ساحل المغرب الأوسط لأجل السيطرة التجارية وتأمين دعم مادي لدولتهم بالاندلس هذا من جهة، ومن جهة أخرى منع المد الشيعي من الوصول إلى الساحل ومحاصرته في المناطق الداخلية ومنع التوسع إلى بلاد الاندلس.

لكن الملاحظ أن هناك سلطتين فرضتا نفوذهما في نشأة المدن وتطورها هما السلطة القبلية والسلطة المذهبية، فالأولى كانت تطمح إلى السيطرة والنفوذ على حساب عصبيات أخرى وقد كانت صنهاجة المثال الحي الذي جسدت النزعة القبلية الطامحة للسلطة والنفوذ وفعلا وصلت إلى مبتغاها حين تربعت على عرش المغرب

الأوسط ردحا من الزمن، وإن كانت في بدايتها قد استندت على الفاطميين للوصول لذلك لكم سرعان ما طلقت الفاطميين وأعلنت ولاءها للمذهب المالكي وقد عملت قادتها الكبار على تعير وبناء سلسلة من المدن لتحكيم تلك السيطرة فجاءت في مقدمة أعمالهم بناء مدينتي القلعة وبجاية اللتان نفسا كبريات المدن في العالم الإسلامي، ثم ان تعمير المدن الإستراتيجية المهمة وحياءها لم يغفل عنها الصنهاجيين فقاموا بإحياء مجد ثلاث مدن مهم تمثلت في الجزائر والمدينة ومليانة

أما المذاهب فهي كذلك أدلت بدلوها في نشأة المدن للتمكين له من الإنتشار وغادة ما كانت هذه المدن تطبع بطابع السرية في بدايتها حتى تؤدي الغرض المرجو منها لكن سرعان ما تقدر وتصير محجة العديد من معتنى المذهب لكن هذا ما لم نلاحظه في مدن المغرب الأوسط فبزوال المذنب نزول وتندثر وكأنها محطات يستغلها دعاة المذهب لكن سرعان ما يتخلو عنها .

الشمس

المكان	الصفحات	المكان	الصفحات
الإسكندرية	٧	الشلف	٤٦ ٨
أندلس	٣٨ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٧ ٢٢ ١٩ ١٦ ٥	الصحراء	٩
ايكجان	٤٦ ٤٥ ٣٩	صقلية	٣٩
باغاي	٤٨ ٤٧ ٤٦	طبنة	٣٩ ٣٦ ١٩ ١٧ ١٦
بجاية	٣٦	طرابلس	٨ ٧
بحر محيط	٤٦ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٦ ٨ ٧ ٦	العراق	٤١
برج الغدير	٦	العطف	٤٩
برج بوعريرج	٣٧	غرداية	٤٩
برقة	٣٧	فاس	٢٤ ٧
بسكرة	٦	الفسطاط	٢٤
البصرة	٣٩ ٣٦	قرطبة	٣٩
بغداد	٢٢	قسطنطينة	٤٦ ٨
بني يزقن	٤١ ٢٢	القلعة	٢٦
بونورة	٤٩	القيروان	٤٥ ٤٣ ٣٩ ٢٢ ٢٠ ١٧ ١٦
البويرة	٤٩	الكوفة	٢٢
تاقدمت	٣٨	لمدونة	٤٦
تلمسان	٢٠	مسيلة	٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥
تنس	٢٩ ٢٤ ٢٣ ١٨ ٨ ٧ ٦	مصر	٤٢ ٣٥
تيهت	٢٦ ٢٥	مغرب إسلامي	٤٧ ٤٢ ٣٨ ٣٦ ٢٩ ٢٦ ٢٤ ١٦ ٦ ٥
الجزائر	٤٩ ٣٩ ٣٦ ٢٩ ٢٥ ٢٢ ٢٠ ١٦	مغرب أقصى	٤٩ ٤٨
دمشق	٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤١ ٢٦ ٨	مغرب أوسط	٤٦ ٣٤ ٢٤ ١٥ ٦ ٥
الزاب	٢٢	مقرة	٣١ ٢٩ ٢٥ ٢٤ ٢٠ ١٦ ١٥ ٨ ٧ ٦ ٥
الزهراء	٣٧ ١٩ ١٨ ١٦ ٨	مليانة	٤٦ ٣٧ ٣٦
سجلماصة	٢٧	المنصورة	١٧
سدراته	١٨	المهدية	٧
سطيف	٥٠ ٤٩	واد ميزاب	٤٦ ٢٥
السودان	٤٦ ١٧	ورجلان	٢٤ ٢٣
شرشال	٣٧ ٣٠ ٢٤	وهران	١٧ ٧
	٨		٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٧ ٢٥ ٨

الاسم	الصفحات	الاسم	الصفحات
ابراهيم التنسي	٢٧	عقبة	٢١
ابن حوقل	٦ ٧ ٢٥ ٤٢ ٤٥	علاوة عمارة	٤٣
ابي الفدا	٤٥	علي بن أبي طالب	٤٨
ابن الأثير	٣٦ ٤٣	علي بن غانية	٥٠
الإدريسي	٢٢ ٤٣ ٤٥	ابو الفضل بن يوسف	٣٩
ابن الأزرق	١٠	الفيروز آبادي	٩ ٢٧
بروديل	٣١	ابو القاسم محمد المهدي	١٥ ١٦ ١٨
ابن بطوطة	٤٤	القاضي النعمان	٤٨
بلكين بن زيري	٤٥	ابن الكلبي	٣٣
جعفر بن حمدون	١٨ ١٩	محمد بن أبي عون	٢٨ ٢٩
الحافظ ابو راس	٣٠	محمد بن عبدون	٢٨ ٢٩
ابن حزم	٣٤ ٤٤	المعز الشيعي	٣٦
الحسن الوزان	٤٠ ٤٤	المغراوي خزر بن حفص	٣٠
الحسن بن الفكون	٤١	المقدس	٤٥
ابي الخطاب المعافري	٢٠	المقرزي	٤٧
حماد بن بلكين	٣٧ ٣٨	مناد بن منقوش	٣٦
ابن حمدون	١٥ ١٦ ١٧	المنصور الزيري	٣٥
حمير بن سبأ	٣٥	المنصور بن القائم	١٨ ٤٣
ابن خلدون	٨٧ ١٠ ١١ ١٦ ٢٢ ٢٣ ٢٩	ابن منظور	٩ ٢٧ ٣٣
	٣٤ ٣٨ ٤١ ٤٥	المهدي بوعبدلي	١٦ ٢٠ ٢٦ ٣٠
ابن رستم	٢٠ ٢١	الناصر بن علناس	٤٠ ٤٣
الزيري بن مناد	٣٥	ابن النحوي التوزري	٣٩
شعيب عليه السلام	٩	التويري	٤٣
الطاهر بونابي	٣٧	ابن هاني الأندلسي	١٩
الطبري	٣٥	الوراق	٤٢
عبد العزيز بن فيلاي	٣٠	ياقوت الحموي	٧ ٢٧ ٤٤ ٤٥ ٤٧
ابو عبد الله الشيعي	٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩	ابو يزيد الخارجي	١٨
ابن عبد ربه الأندلسي	٣٣	يعقوب بن أفلح	٤٩
ابو عبيد البكري	٧ ٢٥ ٤٢ ٤٥	يوسف بن اليعقوب	٢٣ ٢٤
ابن عذاري	١٥ ٤٥		

قائمة المصادر

والمراجع

أولاً: المصادر

١ - الجغرافية:

- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن: مطابع بديل، ١٨٦٣ م.
- ابن الأزرقي: بدائع السلك في طباع الملك، تح: محمد الكرم، تونس: الدار العربية للكتاب، ج ٢.
- ابن بطوطة: الرحلة، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة: المعارف الإسكندرية، ٢٠٠٣.
- حسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط ٢، بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٣، ج ٢.
- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي: صورة الأرض، بيروت، لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٩٢ م.
- الحيري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، ط ٢، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤.
- ابو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ): المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب - جزء من كتاب المسالك و الممالك القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، دت.
- ابو الفدا عماد الدين : تقويم البلدان، تصحيح: البارون ماك كوكين دوسلان، باريس: دار الطباعة السلطانية - بيروت: دار صادر، ١٨٦٠.
- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، اشراف محمد نعيم، بيروت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة العرقسوسي، ٢٠٠٥ م.
- القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت: دار صادر.
- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١، ج ٢.
- مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦.
- ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ١، بيروت، لبنان: دار صادر بيروت، ١٩٧٧ م.

٢ - التاريخية:

- ابن الأثير أبي الحسن على بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ - من سنة ٣٨٩هـ لغاية سنة ٤٨٨هـ -، راجعه: محمد يوسف الدقاق ، ط ١ ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧ ، مجلد ٨.
- ابن حماد الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، فوندر هايدن ، الجزائر ١٩٢٧ .
- ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر نشره: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج ٦.
- :__ المقدمة ، تح: عبد السلام الشدادى، ط ١، الدار البيضاء: خزانة ابن خلدون، ج ١، ٢٠٠٥م.
- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال و ج.س كولان ط ٣، بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٣ ، ج ١.
- الداعي إدريسي عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب - القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار -، ط ١، تحقيق: محمد اليعلاوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥ .
- ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط: دار المنصورة للطباعة و الوراقة ، ١٩٧٢ .
- شهاب الدين النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق: عبد الحميد الرحيني ، بيروت: دار الكتب العلمية ، د.ت ، ج ٢٤ .
- ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين، تح: ابراهيم بحاز ، محمد ناصر ، بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٦م.
- العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بيجاية، تحقيق: عادل نويهض ، ط ٢ بيروت: دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٩ .
- ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد ، شرح وضبط: أحمد أمين وآخرون ، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ج ٤ .
- القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشاوي، ط ٢، تونس: الشركة التونسية للتوزيع - الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٦ .

- ابن كثير عماد الدين: البداية والنهاية ، تحقيق: عبد الله بن محسن التركي ، ط ١ ، الجيزة بمصر: دار هجر ١٩٩٨م، ج ١٦.

لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بوع قبل الإحتلال من ملوك الإسلام -تاريخ إسبانيا الإسلامية - ، تحقيق: ليفي بروفنسال ، ط ٢ ، بيروت: دار المكشوف ، ١٩٥٦ .

- ____: تاريخ المغرب العربي- القسم ثالث من كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق: مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، الدار البيضاء، دار الكتاب ، ١٩٦٤ .

- المقرئزي تقي الدين أحمد بن علي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط ١، القاهرة: مطابع الأهرام ، ١٩٩٦، ج ١.

- ____: السلوك لمعرفة الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ج ١

- منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢ هـ): الأنساب ، تقديم و تعليق: عبد الله البارودي ، ط ١ ، بيروت: دار الجنان ، ١٩٨٨ م ، ج ٣ .

- مؤلف مجهول: مفاخر البربر ، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية ، ط ١ ، الرباط: دار أبي الرقراق للطباعة و النشر ، ٢٠٠٥ .

- ابن هاني الأندلسي: ديوان ابن هاني الأندلسي، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٠ م .

- يحيى بن خلدون: بغية الروادفي ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر: مطبعة بيبير فونطانا الشرقية، ١٩٠٣.

ثانيا: المراجع

- اسماعيل العربي: المدن المغربية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤م

- ____: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٠

- الباروني سليمان بن الشيخ: كتاب الأزهار الرياضية أئمة و ملوك الإباضية ، تونس : دار بو سلامة للنشر و التوزيع، دت.

- بشير مقييس: مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٣

- جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرسمية ، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٤م.
- حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية، - الأحوال السياسية-، الجزائر: منشورات الحضارة، ٢٠٠٩، ج ١.
- ____: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية- مدن الغرب-، الجزائر: دار الحكمة، ٢٠٠٧م، ج ٤ .
- ____: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، عين مليلة: دار الهدى، ٢٠١١م، ج ١.
- روباك برونشفيك: تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن ١٣م إلى نهاية القرن ١٥م ، ترجمة: حمادي الساحلي ، ط ١ ، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٨ ، ج ١
- الزياني محمد بن يوسف : دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقلم: المهدي بوعبدلي الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ١٩٧٨
- الطاهر الطويل: المدينة الإسلامية و تطورها في المغرب الأوسط ق ١٥هـ/ ق ٥هـ، ط ١، المتصدر للترقية الثقافية ٢٠١١ .
- الطائي: اياد عاشور ، تخطيط المدن في المغرب العربي ، ط ١، الأردن : دار دجلة ، ٢٠١٠م
- عبد الحكيم العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة اسلامية، ط ١، بيروت: أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٠م
- عبد الحليم عويس: دولة بني حماد - صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط ٢ ، المنصور: مطابع الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع - القاهرة: دار الصحوة للنشر و التوزيع ، ١٩٩١ م .
- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ المدن الثلاث - الجزائر، المدينة، مليانة في موسمها الألفي ٣٦٠هـ/ ١٣٧٠هـ / ٩٧٠م - ١٩٧١م-، ط ١، الجزائر: شركة دار الأمة، ٢٠٠٧.
- ____: تاريخ الجزائر العام، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، ج ٢.
- عبد الستار محمد عثمان: المدينة الإسلامية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، أوت ١٩٨٨م.
- عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط ٢، القاهرة: دار الفجر للنشر و التوزيع، ١٩٩٩.

- — : تلمسان في العهد الزياني - دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية-، الجزائر: موفم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ج ١.
- علاوة عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ٢٠٠٨.
- علي حسني الخربوطلي: أبو عبد الله الشيعي، المطبعة الفنية المحدث، ١٩٧٢.
- لعرج محمود عبد العزيز: مدينة المنصورة المرينية بتلمسان - دراسة تاريخية أثرية في عمارتها وفنونها - ط ١، القاهرة: زهراء الشرف، ٢٠٠٦.
- لمبارد موريس: الإسلام في مجده الأول، ترجمة العربي اسماعيل، المغرب: منشورات دار الآفاق الجديدة ٢٠٠٣.
- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٩، ج ٢.
- محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠١٠ م.
- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، الكويت: دار القلم للنشر، ١٩٨٧ م.
- محمد نجيب بوطالب: سسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط ١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. - محمود اسماعيل: الاسطوغرافيا و الموثولوجيا، ط ١، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩ م.
- مرمول كرنحال: إفريقيا، ترجمة أحمد التوفيق وأحمد سلجون، الرباط: دار النشر المعرفة: ١٩٨٨، ج ٢.
- مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، الجزائر: ديوان المطبوعات، ١٩٨٣.
- المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، جمع: عبد الرحمن ديب، ط ١، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣ م.
- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، ج ٣، الدار البيضاء: دار الكتاب ١٩٥٤ م، ص ٨٠.
- ناصف سعيد: المدينة الإسلامية - دراسة في نشأة الحضار -، القاهرة: مكتبة الزهراء، ١٩٩٩ م.

- الهادي روجي ادريس: الدولة الصنهاجية- تاريخ إفريقيا في العهد الزيري من ق ١٠ الى ق ١٢م، ترجمة: حمادي الساحلي، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢، ج ٢.

- يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٥م ، ج ٢ ، ص ١٤٦.

- _____: الموجز في تاريخ الجزائر- الجزائر القديمة والوسطية والجزائر الحديثة-، دار البصائر للنشر والتوزيع ٢٠٠٩ ، ج ١.

ثالثا: الرسائل الجامعية

- ابن أحمد الصالح: بجاية في العهد الحفصي(٦٢٨هـ-٧٤٨هـ/١٢٣٠-١٣٤٧م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة قسنطينة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

- رضا بن النية: صنهاجة المغرب الأوسط- من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر-(دراسة إجتماعية)، ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري قسنطينة ، ٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م.

- مختار حساني: الصراع بين الأمويين والفاطميين على السيادة في المغرب الإسلامي خلال القرن ١٠هـ/١٠م، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر ، ١٩٧٨ .

- مرزوق بته: الزخرفة العمائرية في عمارة المغرب الأوسط خلال الفترة (٥٥هـ - ٨هـ) ، مذكرة لنبل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، الجزائر ٢٠٠٨ م ، ٢٠٠٩ م .

- وردة شرقي : مدينة وهران في العصر الوسيط (٢٩٠-٩١٦هـ/٩٠٢م-١٥٠٩م)- دراسة مونوغرافية-رسالة ماجستير تخصص المدينة الحضرية في الغرب الإسلامي ، ٢٠١٢-٢٠١٣م/١٤٣٣هـ-١٤٣٤هـ .

رابعا: الدوريات

- رشيد بورويبة: "الفن الرسمي بتيهت"، مجلة الأصالة، مج: ١٦ ، تلمسان: وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ٢٠١١

- الطاهر بونابي: قلعة بني حماد التأسيس والتداعي ، أعمال الملتقى الوطني الأول حول الدولة المركزية في قلعة بني حماد الإشعاع الفكري الثقافي ، حوليات الآداب واللغات ، جامعة المسيلة ، العدد الثالث، ديسمبر ، ٢٠١٣

- عبد الجبار ناجي: " المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الأجنبية "، مجلة المورد، مج ٩-ع ٤، ١٩٨١م العراق

- عبد العزيز فيلاي: قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال ق ١١/٥٥م ، أعمال الملتقى الوطني الأول حول الدولة المركزية في قلعة بني حماد الإشعاع الفكري الثقافي ، حوليات الآداب واللغات ، جامعة المسيلة ، العدد الثالث، ديسمبر ، ٢٠١٣

- علاوة عمارة وزينب موساوي: "مدينة الجزائر في العصر الوسيط"، مجلة إنسانيات للدراسة الأنثروبولوجية، عدد ٤٤-٤٥، ٢٠٠٩ .

- علاوة عمارة: "التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط" ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد ٢٦، قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر ، ٢٠٠٨ .

- —: الحفريات الأثرية بالحاضرة الحمادية الأولى بين الذاكرة والتاريخ ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة ، ع ٩٤ .

- علي حملاوي: " آثار الدولة الرستمية بالجزائر مدينة سدراتة "، مجلة العربي الثقافة، ع ٥١، الكويت، وزارة الثقافة، ديسمبر ٢٠٠١ .

تَحْمِيْلُ الْجَمْعِ
لِلْمَجْمُوعِ